٢٨٦

HARLEQUIN

روايات احلام

عذراء الثلج

سارة كريفن

www.elromancia.com
مرمورية

عذراء الثلج

- سوف تلتقي بالفتاة وتقنعها بالزواج منك.

- إن كنت جاداً باقتراحك فأنا أرفضه.

- لكنك لن تتزوجها، فحين يكتشف جدها هويتك الحقيقية سيمنع هذا الزواج ويبعدك عن حياتها.

كان على روم دانجلو أن يرضى بتنفيذ خطة جده الانتقامية وإلا يفقد كروم العنب ويفلس. فهل ستقع كوري في حبائله؟ وهل سيتحوّل الفخ الذي نصبه جده إلى مصيدة له؟ فقد فاجأته كوري ببراءتها وربما عليه أن يعيد التفكير في الخطة...

www.elmajalia.com

لبنان: ٢٥٠٠ ل.ل.	البحرين: ١ دينار
سوريا: ٧٥ ل.س.	السعودية: ١٠ ريال
الأردن: ١,٥ دينار	مصر: ٧ جنيه
الكويت: ٧٥٠ فلس	المغرب: ١٥ درهم
الإمارات: ١٠ دراهم	تونس: ٢ دينار
قطر: ١٠ ريال	عمان: ١ ريال

ISBN 9953-15-134-2

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Enterprises II B.V

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل العلامات التجارية استعملت
بترخيص من شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
rome's revenge
First published in Great Britain 2001
Harlequin Mills & Boon Limited
© Sara Craven 2001
Translation © Dar El-Farasha - 2003
ISBN 9953 - 15 - 134 - 2

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: ٨٢٥٤/ ١١ هاتف/ فاكس: ٤٥٠٩٥٠-١-٩٦١- بيروت - لبنان
Email: dfarasha@cyberia.net.lb

ساره كريڤن

بدأت ساره كريڤن بالكتابة لشركة «ميلز آند بونز» سنة ١٩٧٥، وقد باعت منذ ذلك الحين ما يناهز السبعة عشرة مليون نسخة من كتبها في أنحاء العالم. وهي تهوى إلى جانب الكتابة، مشاهدة الأفلام والاستماع إلى الموسيقى والطهو، كذلك تناول الوجبات اللذيذة في مطاعم فخمة. تعيش ساره كريڤن الآن في مدينة «سومرسيت» وهي متمرّسة في متابعة برامج المسابقات التلفزيونية والمشاركة فيها.

www.elromancia.com

١ ـ غريب الأحلام

حين وصل، كانت حفلة الرقص الخيرية في أوجها.

عبر روم دانجلو الممر الرخامي لفندق بارك لين الكبير، ومشى بخطى ثابتة نحو القنطرة المهيبة المؤدية إلى قاعة الرقص.

همّ موظف الأمن بسؤاله عن بطاقة الدخول، لكنه عدل عن رأيه حين رأى نظراته الصارمة.

قطب روم جبينه حين دخل القاعة، متذمراً من الموسيقى الصاخبة وقهقهة الراقصين وأحاديثهم التي طغت على كل شيء.

في وسط هذا الضجيج، راح يتخيل مدرجات كرمته ودوالي العنب المنتشرة بكثافة في كل مكان، تحت سماء صافية يسيطر عليها هدوء تكاد تحسه وتلمسه وصمت تكاد تسمعه.

أدرك أن مجيئه إلى هذا المكان غلطة. ولكنه لم يأت إلى هنا طوعاً، بل أرغمته على ذلك ظروف يتوقف عليها مستقبله. لقد أغفل ما قاله له جده، فوقع في الفخ بسهولة.

وانتقل بهدوء نحو الشرفة المطلة على قاعة الرقص. لم تخف عليه نظرات الفضوّل التي كانت تلاحقه في كل مكان وتراقب كل تحركاته، لكنه لم يكترث لها، فقد اعتاد على ذلك منذ سن المراهقة. كان يدرك تأثير قامته الفارعة وجسمه الرياضي المفتول العضلات على النساء من حوله.

راح ينظر إلى جموع الراقصين يراقبهم وهم يتمايلون على إيقاع الموسيقى

ويحدق عابساً في كلِ فرد منهم كأنه يبحث عن شخص معينّ.

عرف الفتاة التي كان يبحث عنها من النظرة الأولى. كانت أشبه بشبح يقف عند طرف القاعة، يغطي جسمها النحيل فستان فضي شفاف. لا بدّ أن نحول جسمها سببه نظام غذائي صارم اتبعته، لا يتعدى ورقة خس لوجبة الغداء.

تساءل باشمتزاز كيف يمكن لامرأة ثرية ألاّ تظهر بمظهر امرأة؟ أولم يخبرها أحدٌ كيف تختار ملابسها؟

أما شعرها فكان يتدلى على كتفيها، ولم تكن ترتدي أي حليّ عدا ساعة يد، كأنها لا تحب التباهي بثروة عائلتها!

بقيت مكانها وحيدة وكأنما رسمت دائرة بالطبشور تحذّر الاقتراب منها. لم يصدّق روم أنها جاءت إلى الحفل من دون مرافق.

عض على شفتيه باشمتزاز، فلم تكن بياض الثلج تلك من النساء اللواتي يغرينه.

لقد سبق له أن عاشر هذا الصنف من الفتيات اللواتي يرثن ثروات عائلاتهن ويستخففن بالآخرين بكل بساطة.

تذكر واحدة منهن، فعاد العبوس يصبغ وجهه. لم تخطر غرازيبلا بباله منذ وقت بعيد واعتبرها من الماضي. ومع ذلك، عادت فجأة تشغل فكره.

ربما كانت مثل هذه الفتاة الواقفة أمامه، ولدت وفي فمها ملعقة من ذهب فلم تكترث سواء بدت جميلة أو حتى مخادعة، مع أنها كانت الاثنتين معاً. ولا ضير إن تصرفت بهمجية، لأن مكانتها في الدنيا بحسب اعتقاده مرسومة سلفاً ولم يكتب عليها أن تشقى أو تبذل جهداً كي تثبت شخصيتها أو تحقق ذاتها.

وهذا ما يفسر وقوف كوري بدورها هناك، بفستانها الثمين وغير اللائق، وكأنها تتحدى العالم أن يمسها أو يقترب منها.

إنها مجازفة فيها الكثير من التحدي، وروم من النوع الذي تحثه المجازفة

والتحدّي!

كانت كوري غرانت توحي بالتحدي بكل تصرفاتها. وتساءل روم ما الذي يمكنه أن يكسر الجليد ويعكر عليها صفو هدوئها؟

عندئذ، لاحظ كفيها وهي تلتقط أطراف فستانها الفضي فركز نظره عليها بفضول.

لاحظ شقاً تحت إبطها، فحسب أن الفرصة أتت من حيث لا يدري.

في هذه اللحظة بالذات، التفتت كوري وقد أحست أن عيوناً تراقبها فالتقت عيناها بعينيه.

تعمد روم أن يطيل النظر إليها وحدق بها للحظات معدودة، ثم ابتسم بهدوء. ورغم المسافة التي كانت تفصلهما، لاحظ احمرار وجهها المفاجيء قبل أن تدير ظهرها وتسير باتجاه القنطرة التي توصل إلى المقهى.

كان واثقاً أنها سترمقه بنظرة قبل اختفائها. وكاد يخسر الرهان، لكنها رمقته بنظرة سريعة لحظة وصولها إلى مدخل المقهى.

بعد ذلك، توارت عن ناظريه.

ارتسمت على وجه روم ابتسامة عريضة، ثم التقط هاتفه المحمول من جيب سترته السوداء، وقال بصوت جاف وبارد: «لقد رأيتها وقررت أن أقبل المهمة».

أقفل سماعة الهاتف، وخرج من الفندق، ثم اختفى في ظلمة الليل الموحشة.

لم ترغب كوري بحضور الحفل برفقة فيليب الذي رافقها بناءً على طلب جدها.

تمنت لو أنها لم تقبل بذلك، ولكنها لم تشأ إغضاب جدها أرنولد غرانت، أو عصيان أوامره. فهي تعلم أنه لا يضمر لها سوى الخير ويتمنى لها الأفضل على الدوام. ولكن المشكلة أنهما لا يتفقان على تعريفهما لما هو «أفضل».

من وجهة نظر أرنولد، يفضل زوجاً ثرياً ومناسباً، يحافظ عليها ويؤمّن لها منزلاً فخماً، وأطفال وما إلى ذلك.

أما كوري، فهي تفضل مهنة حرة لا تمت إلى مؤسسة غرانت بصلة. باختصار، كانت تفضل الاعتماد على ذاتها.

مع ذلك، كانت تعمل في مؤسسة غرانت، وقد خصص لها جدها معاشاً مغرياً مقابل عملها كمساعدة خاصة له. كانت تنظم يومياته وتسهر على راحته، وتقوم بدور المضيفة أو المرافقة في المناسبات الاجتماعية.

لكنها لم تكن راضية عن كل ذلك، فهي تستطع القيام بكل هذه الواجبات في أوقات فراغها، ولديها الوقت الكافي لتقوم بعمل آخر.

غير أنّ ارنولد غرانت أصر عليها لتبقى برفقته، وكان يتظاهر أحياناً بالتعب والمرض كي يستدرّ عطفها كلما شعر أنّها قد تتركه.

وقد اعتبر ارنولد أنه تنازل كثيراً حين سمح لها بعد عام من الجدال والمداهنة والتملق، أن تنتقل إلى شقة متواضعة في تشالي وتترك بيت العائلة الكبير.

حاول أن يجعلها تعود عن قرارها، فقال لها: «كيف تتركينني في السنوات الأخيرة من عمري».

لكن حيلته لم تنطل على كوري هذه المرة، فسارعت إلى عناقه وقالت: «لا تقل هذا يا جدّي! فأنت رجل قوي وسيطيل الله بعمرك بإذنه»!

مع ذلك وعلى رغم انتقالها إلى شقتها، ظل جدها يتدخل في حياتها الخاصة وقد منح نفسه الصلاحية المطلقة لاتخاذ القرارات الهامة نيابة عنها. ووجودها في هذا الحفل ليس إلاّ نتيجةً مباشرة لهذا التدخل، فجدها هو المتبرع الرئيسي للجمعية الخيرية التي تقيم الحفل، وعليها أن تمثله شخصياً.

لم تعجبها هذه التصرفات أبداً ولكن ما كان بيدها حيلة.

انقلبت سهرتها إلى كارثة منذ وصولها، ولم تتبادل مع مرافقها طوال السهرة سوى بضع كلمات فقط. تذكرت وجه فيليب حين رآها بذاك

الفستان. أرادت أن تقول له إن كان يحسب هذا الثوب رديئاً فماذا لو رأى الفساتين الأخرى التي كادت تشتريها. لقد اختارت هذا الفستان على عجل ولو اشترت معه خماراً يغطي وجهها لكان خياراً أفضل بكثير.

غير أنها لم تقل له أياً من كل هذا، بل هدأت من روعها وسمحت لمرافقها أن يصطحبها إلى حفلة الرقص.

حين دعاها فيليب إلى الرقص من باب اللياقة، كافأته بدوسها على قدمه. لا شك أنه تألم، فقد كان قياس حذاؤها كبيراً.

بعدها عرض عليها أن يأتيها بكأس شراب، ثم اختفى داخل المقهى ولم يعد. طال غيابه أكثر من ربع ساعة، لكنها لم تذهب للبحث عنه.

أطلقت كوري تنهيدة عميقة. فهي تشعر بالغباء في مثل هذه المناسبات، وكأنها سمكة خارج الماء. زاد من انزعاجها أنها كانت فارعة الطول، وأن فيليب أقصر منها. ومن حسن حظها، أنها لم تنتعل كعباً عالياً وإلا لبدا الأمر أكثر سوءاً.

لم تكن كوري تجيد الرقص، كما أنها تفتقد الايقاع الطبيعي، ولا تجيد تنسيق خطواتها، فتدوس على قدمي من يراقصها.

لم تكن الأحاديث القصيرة والتافهة تعني لها شيئاً، ولم تكن تتحملها أكثر من دقيقتين. بعدها تشعر بالألم من جراء الابتسامة المتكلفة البلهاء التي ترسمها على وجهها.

في مثل هذه الأوضاع كانت تتمنى لو أنها بقيت في بيتها، وفي يدها كتاب تقرأه وفنجان قهوة ترشفه بهدوء.

فجأة، لم تعد تطيق البقاء في مكانها، وإلا حسبها الناس مجبرة على التسمر داخل دائرة من الطبشور ففكرت في البحث عن مرافقها الذي لم تفتقده. وخطر لها أن تتذرع بصداع مفاجيء فتعفيه من تورطه هذا.

أحست أن شخصاً ما يراقبها. وتساءلت قبل أن تنظر إلى الأعلى بغير اكتراث، أهو الفستان أم أنها تحولت فعلاً إلى تمثال من الشمع يذوب بفعل

حرارة موقفها المحرج!

انقطعت عن التفكير لحظة، وتسارعت نبضات قلبها فجأة.

لم تتوقع أن يعيرها رجل وسيم كهذا أي التفاتة ولو عابرة!

عندما التقت نظراتهما، أحست على الفور بناقوس الخطر يقرع في رأسها بصوتٍ عالٍ.

كانت ملابسه أنيقة تليق بالمناسبة، ولكنها شعرت أن ملامحه لا تتناسب مع ملابسه. فقد أوحى لها مظهره الصارم بأن عصبة العين التي يضعها القراصنة تليق به أكثر.

لكنها عادت فنبذت تلك الأفكار وقد شعرت بالذنب. لعله رجل مرموق، محامٍ أو محاسب كبير، وإلا لما استطاع شراء البطاقة المكلفة لحضور هذا الحفل.

أرادت أن تكفّ عن التفكير بتلك السخافات، وأن تعترف بهزيمتها وتشاؤمها، غير أن روم لم يمنحها فرصة التراجع، بل عاجلها بابتسامة ورفع كأسه وشرب نخبها قبل أن تتحرك من مكانها.

انتابت كوري رعشات الخجل من رأسها حتى أخمص قدميها، وكان الخجل نقطة ضعفها.

توقعت أن تدير ظهرها فجأة، لتجد فارس الأحلام واقفاً خلفها. رجل أشقر بهيّ الطلعة، يحسن اختيار ملابسه كما يحسن المغازلة.

أرادت بشدة أن تأتي اللحظة، ولكن فارس الأحلام لم يكن خلفها ولا في أي مكان. لم تجد إلاّ ذلك الرجل يبتسم لها ويراقبها، كأنه ينتظر منها أن تقوم بحركة ما.

انساب العرق بارداً على طول ظهرها كقطعة ثلج تسقط على صفيح ساخن، فلم تستطع أن تخفي الاضطراب المفاجيء في حركة تنفسها.

اجتاحتها رغبة جامحة في الذهاب إليه، رغبة في عبور القاعة بكل ثقة وصعود الدرجات الرخامية العريضة لتصل إليه.

ثم فكرت لما لا يأتي هو إليها فيقتحم سور وحدتها بقوة وإثارة. لكنها سرعان ما عادت إلى صوابها، فنبذت تلك النزوة العابرة.

اعتقدت أنها على وشك ارتكاب حماقة، فقررت أن تغادر المكان على الفور.

مشت بخطىً ثابتة نحو المقهى حيث تاه فيليب واختفى.

وقبل أن تدخل المقهى، غامرت بالتفاتة سريعة، فتأكدت بمزيج من الحذر والاثارة من أنه ما زال واقفاً هناك يراقبها ويبتسم لها.

في المقهى، أحست كوري بالأمان وحاولت أن تسيطر على ارتعاشها. صحيح أن فيليب لم يكن جذاباً، لكنه على الأقل لا يشبه القرصان، كهذا الرجل الغريب.

لمحت فيليب بين رواد المقهى، جالساً إلى طاولة في الزاوية مع بعض أصحابه، يقهقه ضاحكاً.

ولو أنها كثيرة التوّهم، لحسبت أنها موضوع هذا الهزل. لكن الصورة الاجمالية توحي بأنه نسي أمرها وغفل عنها تماماً.

طلبت كأساً من عصير العنب، وما كادت تشرب أول رشفة لها، حتى أحست بيد تربت على كتفها.

انتفضت مذعورة، فلطّخ نصف ما في كأسها ثوبها الفضي غير اللائق وأدارت وجهها بإحساس ممزوج بالأمل والخوف في آنٍ معاً.

إنها شيلي بانيت، زميلة قديمة لها من أيام الدراسة، وهي موظفة في المؤسسة الخيرية. عاجلتها بالقول: «أين أنت يا كوري؟ بحثت عنك في كل مكان حتى اعتقدت أنك لم تحضري الحفلة».

أطلقت كوري زفرة مسموعة، وراحت تمسح عن ثوبها آثار العصير بمحرمة صغيرة مزركشة، ثم قالت: «لم يتسنَ لي التهرب فأنت أدرى بعناد جدي».

أكملت شيلي سؤالها بقلق واضح: «لم تأتي وحدك أليس كذلك»؟

ردت كوري بتردد وعدم اكتراث: «طبعاً لا. فشريكي جالس هناك يستمتع باستراحة يستحقها، بعد أن أوشكت على كسر إصبع في قدمه».

قالت كوري ذلك باهتمام ملحوظ، وأضافت: «هل لفت نظرك رجل ما في القاعة»؟

ـ لفت نظري رجال كثيرون، خاصة أولئك الّذين يراقصون النساء اللواتي يرتدين فساتين طويلة... أليس هذا تصرفاً غريباً؟ ما رأيك؟.

ـ أنا أقصد رجلاً وحيداً، لم يكترث للرقص. له على الأرجح اهتمامات أخرى. وفكرت أن هذه الاهتمامات قد تكون الاغتصاب والسطو كما يفعل القراصنة.

لمعت عينا شيلي، وقالت: «لقد أثرت فضولي، أين لمحت هذا الرجل؟».

عبست كوري قليلاً وأجابت: «كان واقفاً على الشرفة. نحن نعرف مسبقاً هوية من يشاركون في مثل هذه المناسبات. ولكن هذا الرجل غريب لم أصادفه أبداً من قبل».

ردّت شيلي بغبطة: «حسناً، يبدو تأثيره عليك واضحاً، مع أنني لطالما حسبتك إنسانة جامدة منحوتة من الصخر».

شعرت كوري بأن كلام شيلي جرح كرامتها، فقالت مدافعة: «لا تكوني سخيفة!».

ـ ما رأيك لو أحضرت لك اسمه من لائحة الضيوف؛ أو ربما رقم هاتفه؟

احتجّت كوري مرة أخرى وأصرت: «ليس الأمر كما تظنين. الأمر لا يتعدّى الفضول لرؤية وجه جديد في هذه المناسبات».

رمقتها شيلي بدهاء قائلة: «نعم لا جدال في ذلك، ولكن هل كان الوجه الجديد حسناً؟»

هزت كوري برأسها وقالت: «لا أقول حسناً، لكنه وجه مشوّق يثير

الفضول».

شدّت شيلي على ذراع صديقتها قائلة: «في هذه الحالة، لا بد من مراجعة لائحة الضيوف!».

غير أن كوري عادت لتجد الغريب المشوق القامة قد اختفى من القاعة.

تنهدت شيلي وقالت: «ربما اختطفته امرأة لعوب، أو أنه قرر بعد حضوره الحفلة أن عمل الخير أفضل في البيت».

فكرت كوري بأسى، أنه ربما تفحصها جيداً فقرر أن يستبعدها من تفكيره كإنسانة بائسة مهملة.

قالت بصوت مسموع: «لا بأس، هكذا أفضل!».

أشارت إلى النادل، فكتبت على دفتره كلمات اعتذار لفيليب، ثم قالت له: «أعط هذه الورقة للسيد هاملتون من فضلك. إنه يجلس هناك في زاوية المقهى».

نظرت شيلي إليها وقالت معاتبة: «هل ستتخلين عني أيضاً يا صديقتي؟».

فردت عليها كوري بابتهاج: «نعم للأسف. لقد تكلّفت ما فيه الكفاية اليوم وقمت بواجبي تجاه جدي».

تفهمت شيلي وضعها، فقالت: «إلى اللقاء في فرصة أخرى إذن».

ثم استدركت قائلة: «ماذا عن مرافقك؟»

أكدت لها كوري بابتسامة: «لقد قام هو أيضاً بواجبه. كما أكره أن أقاوم تحرشاته المصطنعة أثناء عودتنا إلى البيت».

ـ ربما كانت تحرشات مقصودة.

وصمتت للحظة، ثم أضافت: «هل ما زلت متعلقة بذاك الثرثار روب؟ ألاّ تكرهين كل الرجال بسببه؟»

فردت كوري عليها بإصرار: «لا أعيره أي اهتمام ولا أفكر فيه أبداً.

www.elromancia.com

لكن فيليب ليس فارس أحلامي لأنه لا يملك أياً من مواصفاته».

ذبلت عينا شيلي وقالت: «وما الضرر في تمضية وقت عابر مع أي رجل حتى يأتي فارس الأحلام؟».

قالت باستخفاف: «لا يروق لي هذا فأنا أفضّل العزوبية».

تنهدت شيلي قائلة: «نعم العزوبية أفضل، ولكني لا أحبها. حسناً، اذهبي إلى بيتك وسوف أتصل بك غداً، ونتفق على تناول عشاء وحضور فيلم سينما».

ودّعتها كوري بقبلة على خدها ثم انصرفت.

لحسن حظها، لم يكن سائق التاكسي ثرثاراً. فجلست في زاوية المقعد الخلفي تفكر في ما حصل معها هذه الأمسية.

قررت أن تبت الأمر مع جدها، حتى يكف عن ترتيب هذه المواعيد لها. سخرت من سوء معاملة فيليب واهماله، ولكنها في الوقت نفسه تضايقت من الوضع برمته. فقد تركها وحدها حتى بدت غبية، وعرّضها لتحرشات شخص غريب يحسب نفسه «السيد جذاب».

دفعت أجرة التاكسي، ثم دخلت إلى شقتها. فكرت كوري وهي تعلّق معطفها أنّ من سيئات الوحدة ألاّ تجد شريكاً تحدّثه عن سهرتها.

فكرت في الاتصال بأمها الأرمل في ميامي، ولكنها لم تشأ أن تقطع عليها لعبة البريدج اليومية. فكرت بجدها، لكنها عادت ونبذت تلك الفكرة لا سيما أن جدّها لا يريد سماع سوى الأخبار الجيدة، فكان عليها أن تختلق حكاية ترضيه حين تلتقي به لاحقاً.

فكرت في أن تربي هرّة، ولكن هذا دليل عنوسة غير مناسب لفتاة في الثالثة والعشرين من عمرها. واحتارت بأمرها، حتى قطعت الأمل بأن شيئاً لن يتغير مهما حاولت.

خلعت فستانها الفضي بعناية ووضعته فوق الكرسي. قررت أن ترسله إلى المصبغة لتنظيفه لتتبرع به لاحقاً لمحل الثياب المستعملة التابع للجمعية

الخيرية.

تناولت قميص نومها المخملي الأخضر. ثم توقفت لحظة قبل أن ترتديه.

نادراً ما تقف أمام المرآة إلا حين تغسل وجهها أو تسرح شعرها. ولكنها هذه المرة أطالت النظر إلى جسدها بعين ناقدة.

كانت ملابسها الداخلية المخرمة والمصنوعة من الحرير الفضي والرمادي جميلة وغالية الثمن.

كان صدرها جميلاً، لكنه صغير ما كان يشعرها بالخجل. من حسن حظها أن ساقيها طويلتان وملفتتان، لكن التجويف البارز في أسفل عنقها جعل عظمة كتفها تبدو حادة كالسكين.

لا عجب أن قالت أمها الشقراء ذات الجسد الممتلىء الذي يفاخر بأنوثته، بعد ولادتها إنها أنجبت زرافة.

تنهدت كوري واعترفت بأنها تشبه والدها وجدها، وتمنت لو أنها خلقت صبياً لا فتاة.

لبست قميص النوم ورفعت سحابه إلى الأعلى لتشعر بملمسه الدافىء، ثم مسحت آثار الماكياج الطفيفة عن وجهها.

اعتادت ألاّ تتجمّل كثيراً فكانت تضع مجرد مسحة من «الظل» على جفنيها وخط رفيع من أحمر الشفاه على فمها الناعم، ومسكارا غامقة لتخطيط أهدابها الطويلة التي تظلل عينيها اللوزيتين.

لم تفهم كوري سبب اجرائها هذا التقييم القاسي لنفسها. هل أعادها حديث شيلي عن «روب» إلى ذكريات ما زالت قوية ومؤثرة؟

لكنها استدركت الأمر بسرعة ورأت أن هذا غباء، وأن عليها أن تتخطى الماضي وتواصل طريقها. غير أن ثمة الكثير من الأمور التي لم تستطيع تناسيها بسهولة.

اتجهت نحو مطبخها الصغير وسكبت بعض الحليب في وعاء، ثم

وضعته فوق النار. كانت بحاجة إلى كوب من الشوكولا بالحليب الساخن فهو خير جليس في هذه اللحظات، بدلاً من السفر في طرق الذكريات الوعرة.

حين انتهت من تحضير شرابها، أشعلت مدفأة الغاز وارتمت في حضن أريكتها الضخمة وقبضت على فنجانها بكلتي يديها محدّقة في الشعلة الزرقاء الصغيرة وهي تتراقص فوق الفحم المزيف.

فكرت في أنها في يوم ما ستشعل ناراً كبيرة على الحطب في مدفأة مهولة تكفي لشيء ثور بأكمله.

في الحقيقة، لو طلبت ذلك لحصلت على ما تحلم به خلال أيام معدودة. فكلمة واحدة لجدها ستفتح أمامها منازل فخمة، ذات مدافىء على الحطب، لتنتقي منها ما تشاء.

لكنها لا تريد أن تحصل على ذلك إلاّ من جهدها الخاص.

لقد أدركت منذ نعومة أظافرها أنها الوريثة الوحيدة لامبراطورية غرانت، وما عليها إلا أن تطلب ليجاب طلبها. كما كان جدُّها على استعداد تام لتلبية إشاراتها، ولذلك حرصت على مراقبة كل كلمة تتفوه بها.

جالت بنظرها على أرجاء شقتها المتواضعة بغرفتها الوحيدة وحمامها الصغير، مقتنعة بأنها تناسبها في الوقت الراهن.

لم تعترض مالكة الشقة حين نزعت كوري السجاد القديم ولمعت البلاط حتى أصبح يشع مثل العسل الصافي. وطلت جدران الشقة بلون القشدة الداكن، واشترت أريكة ضخمة مريحة وكرسياً يتناسق معها مغطى بقماش صبغ باللون الأخضر الغامق.

خصصت ركناً صغيراً لغرفة الطعام، وضعت فيه طاولة مستديرة يعلوها لوح زجاجي مع كرسيين بظهر مرتفع، وخصصت ركناً آخر وضعت فيه مكتباً أنيقاً لها، ووضعت عليه جهاز الكومبيوتر المحمول والهاتف وآلة الفاكس.

هذا لا يعني أنها تحب العمل في البيت، فالشقة ليست سوى ملجأ ترتاح فيه من تعب النهار، وترمي كل ما يحدث في شركة غرانت وراءها، حالما تقفل بابها.

لم يساورها أي شك بأن نسيان هموم الحياة ليس أمراً سهلاً، ولن تصبح حرة طليقة بين ليلة وضحاها.

لقد استعملت الكومبيوتر بشكل خاص في متابعة حركة الأسهم، وهي العادة الوحيدة المتبقية من علاقتها مع روب بعد انفصالهما، فاعتبرتها هواية يمكن ممارستها من دون شريك.

لم يتعمّد والدها إيان وصونيا غرانت أن ينجبا طفلة وحيدة فقد ولدت كوري بعد عامين من زواجهما على أمل إنجاب أطفال آخرين.

لكنهما تروّيا قليلاً في الانجاب وفضلا الحياة الصاخبة. فأقاما حفلات عارمة سرعان ما أصبحت حديث الناس. كانت صونيا قد احترفت في أيام العزوبية لعبة التنس في حين شغف إيان، إلى جانب شغفه بصونيا وابنته، بقيادة سيارات السباق السريعة.

كانت صونيا تشارك في مباراة للتنس في كاليفورنيا عندما تسبب حادث سير مروع بمقتل زوجها أيان على الفور. ولكي تتخلص من صدمة الحزن كثفت صونيا نشاطها الرياضي. وخلال السنوات القليلة التالية، رافقتها كوري في أسفارها فعاشت حياة غير مستقرة أمضتاها متنقلتين من بلد إلى آخر، ومن فندق إلى آخر.

تدخل جدّها أرنولد غرانت في نهاية الأمر، وأصر على أن تعود كوري إلى بريطانيا لتكمل دراستها وتعيش حياة أكثر استقراراً. وهكذا مضت كوري طفولتها في التنقل بين بيت جدّها الفخم في شيلسيا، وبين بيت والديها المفضل لديها في سافولك.

تزوجت صونيا مرة أخرى من الصناعيّ الأميركي مورتن فراسك. وبعد وفاة هذا الأخير إثر نوبة قلبية، أصبحت فلوريدا مكان إقامتها الدائم.

لم تشأ كوري تلبية دعوة أمها للاقامة معها لأن حياة نوادي الريف لا تستهويها كما لم يعجبها نمط حياتها، واعتبرته سراً تخجل من ذكره.

اتسمت علاقتهما بالمودة والحب ولكن من دون أي ارتباط وثيق في حياتهما. فكانت كوري تعامل أمها كشقيقة كبرى لها، أكثر من معاملتها كأم. أما دور الأمومة فقد اضطلعت به جدتها.

كانت جدتها بيث غرانت، امرأة جميلة واثقة من حبها لزوجها وعائلتها. وقد حزنت كثيراً على وفاة ابنها، وظهرت التجاعيد على أثر ذلك حول عينيها وفمها. لذا لجأت إلى تربية حفيدتها الصغيرة وإعطائها أكبر قدر من الرعاية.

غير أن الحياة لم تكن لتخلو من المشاكل. وسرعان ما اكتشفت كوري ما يعكّر صفو سعادة جدتها... إنه صراع العائلات الذي يسبب الضغينة والذي ما زال حياً.

شهدت كوري شجاراً بين جدّيها لأول مرة، ورأت الدموع في عيني جدتها.

قالت الجدة بحدة: «لا يمكنكما الاستمرار على هذا الحال، هذا عمل وحشي مدمر. أنتما تتصرفان مثل طفلين، بل أخطر من ذلك بكثير. أرجوكما بحق الله. كفّا عن المنافسة القاتلة... كفى كفى...».

أجابها الجد بصوتٍ أكثر حدة: «هو من بدأ بإزعاجي وأنت تعلمين ذلك. قولي له أن يكف عن هذه التصرفات، وألاّ يحاول تدميري، وإعاقة أعمالي والاستيلاء على شركاتي...».

ثم أضاف أرنولد غرانت بابتسامة شرسة: «لقد فشلت محاولاته ولن تنجح لأنني لن أدعها تمر. وسوف أرد له الصاع صاعين كلما أعاد الكرة، حتى يستسلم في نهاية الأمر».

فردّت عليه زوجته بمرارة: «في نهاية الأمر؟ أي استسلام تتحدث عنه وكل منكما يصر على تصفية الآخر؟».

وفجأة لاحظت الجدة حفيدتها كوري تقف على عتبة الباب، فزجرتها بادىء الأمر، ثم طلبت منها الانصراف بلهجة ألطف.

وعند المساء، سألت كوري جدتها: «من هو مات سمسون؟».

فأجابتها الجدة: «شخص غير مهم، وآمل ألاّ يعني لك شيئاً أبداً... والآن اخلدي إلى النوم وحاولي أن تنسي ما شاهدته اليوم».

كانت تلك نصيحة جيدة ولكن كوري تعلم أن تطبيقها للأسف غير ممكن. فمنذ وفاة جدتها قبل ستة أعوام، اشتد العداء بين الرجلين وازداد إصرارهما وتصلّبت مواقفهما.

ففي الأسبوع الماضي بالتحديد، ابتهج الجد بانتصاره على خصمه حين تمكن من انتزاع قطعة أرض كانت شركة سمسون تفاوض على شرائها، منذ زمن بعيد.

علّقت كوري على الصفقة باستغراب: «ولكنك لست بحاجة إلى قطعة الأرض يا جدي، فماذا ستفعل بها؟».

رد عليها الجد بابتسامته الشرسة المعهودة: «سأعيد بيعها للأوغاد أنفسهم عبر بعض الوسطاء وبربح أكبر وسوف يشتريها هذا النذل العجوز، لأنه في أمسّ الحاجة إليها».

سألته كوري: «ألن يسعى بدوره إلى الانتقام؟».

جلس أرنولد على أريكته وأجابها بثقة: «سوف يحاول ذلك بلا شك، ولكنه سيجدني في المرصاد».

يئست كوري من النقاش. فالمعركة ما زالت مستمرة، وتوقعت مزيداً من الضربات والمكائد المتبادلة. وقد كان العجوزان العنيدان يسببان ضرراً لمصالحهما بحسب رأيها. وخشيت أن يستمر صراعهما حتى يقضي واحدهما على الآخر.

عندئذ، لن يبقى هناك من يسعر نار البغضاء. لم تشأ كوري التورط في هذه الخلافات ورفضت بشدة أن تكون طرفاً فيها. ووريثة مات سمسون

الوحيدة هي ابنته غير المتزوجة التي لا تزال تعيش معه وتهتم بمنزله. أما شقيقتها الصغرى فقد غادرت المنزل منذ أكثر من ثلاثين عاماً ولم تعد أبداً. وثمة إشاعة تقول إن والدها مات سمسون لم يسمح لأحد بذكر اسمها وتعتقد كوري أن للخبر أساس من الصحة.

لا شك أن خصم جدها خصم قوي تملأه الكراهية.

ارتجفت كوري فجأة لمجرد التفكير في هذا الأمر.

اتجهت إلى غرفة النوم، توقفت لحظة ونظرت إلى المرآة تتأمل جسمها في ظلال ضوء الغرفة الخافت.

دارت في رأسها أفكار غريبة، وتذكرت ذاك الرجل الغريب فشعرت برعشة تسري في جسدها.

تسمرّت في مكانها لحظات معدودة أطلقت بعدها صرخة مكبوتة، ثم قالت بصوتٍ مسموع ولكن بثبات وهدوء: «إنه مجرد رجل غريب، يا كوري. ولن ترينه مرة أخرى. ألم تتعلمي درساً من تجربتك مع روب؟.. هيا اخلدي إلى النوم أيتها السخيفة الحمقاء».

لكن القول أسهل من الفعل. فعندما أطبقت عينيها وجدت الغريب الأسمر ينتظرها هناك ويطاردها ويزعجها في أحلامها.

وحين استيقظت عند الفجر الباكر، وجدت الدموع تغطي وجهها.

* * *

٢ ـ بلا هوية

دخل روم شقته وأقفل الباب خلفه.

اتكأ بظهره لحظة على الباب وأغمض عينيه وراح يلعن نفسه بأسوأ الأسماء التي يعرفها باللغة الانكليزية ثم انقلب إلى اللغة الايطالية معيداً الكرة.

تكررت كلمة «أبله» أكثر من غيرها.

فتح الباب الجرار على مصراعيه وخرج إلى الشرفة الضيقة باسطاً نظره بلا تركيز في أرجاء المدينة. مدّ يده إلى ربطة عنقه وحلّها بعصبية غير مكترث ببرد الخريف المزعج وبرطوبته.

ثم قال بهدوء كأنه يحادث نفسه: «ما الذي أتى بي إلى هنا؟».

قال ذلك وهو يعلم أن لا خيار آخر أمامه بعد أن رفضت المصارف الايطالية، التي لطالما ساعدته، طلبه لاقتراض المال الضروري لانعاش مزارع العنب وترميم بيته المتداعي المطل عليها.

وتذكّر بمرارة كيف أن صديقته السابقة غرازيلا عملت ما بوسعها لاعاقة أعماله وقد أقسمت أن تحيل حياته جحيماً ونجحت في ذلك إلى حد لم تحلم به قط.

لم يخطط للبقاء في لندن أكثر من الوقت الكافي للتفاوض على القرض وسيعود بعدها فوراً حتى دون أن يعلن عن وجوده.

لكنه أخطأ في تقديره لنفوذ جده وعلاقاته الخاصة في لندن. فما كاد

www.elromancia.com

يصل إلى فندقه حتى تم الاجتماع وتلقى عرضاً مغرياً يصعب رفضه.

لم يفاجئه الأمر كلياً، لأن والدته حذّرته من قبل وأطلعته بوضوح على ما يمكن توقعه من جدّه:

ـ سوف يسعى للقائك عاجلاً أم آجلاً وعليك أن توافق لأنك حفيده الوحيد. ولكن لا تقبل أن يتفضّل عليك فلا يوجد شيء بلا مقابل، وسوف تدفع لقاء خدماته مهما طال الزمن!

ورغم علمه بكل هذا، لم يتنبّه للفخ المنصوب له.

أخذ روم على حين غرة، فقد فاجأه ماثيو سمسون بقدومه إلى مونتيدرو بلا سابق إنذار.

اهتزت جوارح روم حين وجد نفسه يحدق في نسخة مطابقة له ولكن متقدمة في السن. انحصر الاختلاف في بياض الشعر وبهتان زرقة العينين ولكن التشابه واضح لا يمكن لأحد إنكاره، ولم يخف ذلك على مات سمسون أيضاً.

عقد مات حاجبيه حين رآه ولم يصدق عينيه لشدة التشابه. وقال له بعد أن استفاق من الصدمة: «حسناً! أنت ابن ساره إذن؟».

مال روم برأسه وردّ عليه بالمثل: «وأنت الرجل الذي حاول منع ولادتي».

ساد صمت خانق قطعته قهقهة عالية لم تدم طويلاً ردّ بعدها مات: «هذا صحيح، لكن لعلها كانت غلطة».

استوى مات في جلسته وراح يتأمل مدرجات دوالي العنب قائلاً وفي صوته مزيج من الغضب والندم: «إذن، في هذا المكان قضت ابنتي سنوات عمرها الأخيرة».

دامت إقامة مات في مونتيدرو يومين قضاها متجولاً في أرجاء المزرعة يسأل عن أوضاع العمل فيها، كما زار كنيسة البلدة حيث دفنت سارة قرب زوجها ستيف دانجلو.

سأل مات أثناء عودتهما في السيارة من الكنيسة: «إنك تحمل اسم

ستيف دانجلو، هل هو والدك؟»

رد روم: «نعم، إنه والدي».

برقت عينا مات ونظر إلى روم «كان ماهراً في لعب الورق، أليس كذلك».

ـ هذا صحيح.

سرح مات بنظره عبر نافذة السيارة وقال منتقداً: «واضح أن أباك لم يوظف ما كسبه من القمار في مصالح العائلة... لقد ورث ستيف هذه المصالح وهي في حالة انهيار بعد وفاة ابن عمّه، ولم يكن يتوقع ذلك. واليوم وصلت إليك».

وتعالت تلك القهقهة مرة أخرى وأكمل: «ربما أنت مقامر أكثر مما تعتقد... هل حدثتك أمك عن والدك الحقيقي؟»

قال روم بصراحة: «لا، أبداً. وأظن أنها لم تكترث للأمر كثيراً».

صرخ الجد حانقاً: «لم تكترث به... جلبت العار لنفسها ولكل عائلتها ولم تكترث؟».

في تلك اللحظة لاحظ روم علامات القسوة والطغيان التي هربت منها أمه.

ردّ روم: «نعم كانت صغيرة السن وارتكبت خطأ ولكن لا يعني ذلك أن تدفع بقية حياتها ثمناً للتكفير عنه».

وتنهّد مات ثم استسلم لصمت كئيب.

كان هذا كل ما تبادلاه من حديث عن المسائل الخاصة ولم يتكرر ذلك وكأنهما اتفقا على أن الخوض في الأمور الخاصة لن يقربهما أبداً.

عاد الجدّ يتحدث عن الأعمال والمصالح كي يزيل الجو المشحون بينهما، ثم راح يطرح حلوله وتصوراته لتحديث وسائل العمل.

حين استعاد روم بذاكرته تلك اللحظات أدرك مدى التنازلات التي قدمّها دون أن يدري ماذا يفعل. فقد أعماه حماسه الشديد، ولم يلحظ آنذاك كيف استطاع مات سمسون كسب ثقته وإزالة التوتر بينهما مبدياً تفهمه ومتعاطفاً مع ميوله وتطلعاته.

تم ادخال التحسينات التي اقترحها بالتراضي وبعفوية، الأمر الذي طمأن روم. وما زاده اقتناعاً وأوقعه في الفخ أن الصفقة لم تكن مجرد هبة، بل صفقة تجارية رسمية بين رجلي أعمال مع جدول واقعي لسداد الدين.

لم يتنبه روم للأمر ولم تساوره الظنون إلا بعد سفر جده وإبرام العقد.

حاول الابتعاد بتفكيره عن القلق وحصر المسألة بأنه حصل على مال هو بأمسّ الحاجة إليه وعلى جدولة مريحة لسداد الدين. إنها مرة واحدة فقط ولن تتكرر. وحالما يسدّد القسط الأخير سيلجأ إلى مصادر أخرى لاقتراض المال.

لم تجرِ اتصالات كثيرة بين الجد وحفيده خلال العامين الماضيين واقتصرت في معظمها على رسائل نادرة.

واعتقد روم أن الأمور ستبقى على تلك الحال. إلا أن الدعوة الأشبه بالأمر لمقابلة جده جاءته مفاجأة غير سارة.

عاش مات سمسون في ضاحية من ضواحي لندن، في منزل يحيطه سور حجري مرتفع وأشجار كثيفة. «حيث يجتمع ديزني إلى فرانكشتاين»، هكذا وصفت سارة دانجلو بيت طفولتها. وحين استفاق روم من وهلته الأولى بعد رؤيته وافق أمه على هذا الوصف الدقيق. كان بيتاً أشبه بقصر مهجور زادت من ضخامته أبراجه المنتصبة في كل زاوية.

فتحت له الباب امرأة علا الشيب رأسها وترتدي فستاناً كحلياً. ابتسمت له ابتسامة دافئة أنارت وجهها وقالت: «أنت روم، ابن سارة، حسبت أننا لن نلتقي أبداً».

ثم اقتربت منه وقبلته على خده وأضافت: «أنا خالتك كيت».

بادلها روم العناق شاعراً بالذنب إذ حسبها في بادىء الأمر خادمة في المنزل.

قال: «أنا أيضاً لم أتوقع أن أدعى إلى هنا وظننت أن وجودي يحرج العائلة ولا يشرفها».

انتظر منها أن تطمئنه بأن جده ليس بالقساوة التي يبدو عليها في ظاهر

الأمر، ولكن للأسف خاب ظنه.

وبدلاً من ذلك قالت: «إن جدك في انتظارك. هيا نصعد إليه...».

تقدّمته على الأدراج المغطاة بالسجاد التركي، ثم استدارت في أعلى الدرج يساراً نحو غرفته وقالت بصوت خافت: «أمره الطبيب أن يرتاح قليلاً، كنا نخشى من أزمة قلبية وتبين أنه مجرد إرهاق».

كانت غرفة نوم مات سمسون دافئة وحارة إلى درجة الاختناق تكاد تخلو من الهواء بسجادها القرمزي اللون وستائرها والسرير المرفوع فوق منصة عالية. جلس مات سمسون في وسط السرير مستنداً إلى وسائد تحيط به من كل جانب.

كاد روم يضحك من هذا المشهد المنسوخ عن قصر الاليزيه في القرن الثامن عشر ولكنه تراجع عن ذلك حين لاحظ أنّ جده يرمقه بنظرة صارمة.

وقال: «صباح الخير يا جدّي... كيف تشعر الآن، آمل أنك تحسنت؟».

تنحنح مات قليلاً ولم ينظر إلى روم بل وجّه كلامه إلى كيت: «إنزلي الآن، لن أحتاج إليك هنا».

استدار روم نحو كيت وقال مبتسماً: «آمل يا خالتي أن تسنح لنا فرصة الكلام قبل مغادرتي».

هزت كيت رأسها ثم رمقت والدها بنظرة تحفظ وخرجت من الغرفة.

ولكن الجد ناداها بعد أن أغلقت الباب وطلب منها أن تأتيهما بالقهوة بعد نصف ساعة.

رفع روم حاجبيه باستهجان وقال مخاطباً جده: «أهذه وظيفة خالتي؟».

نظر الجد إليه باستخفاف ظاهر وقال: «أعطيت الخدم إجازة هذه الليلة... ثم أراك متسرعاً في ادعاء القرابة العائلية».

رد روم متسائلاً: «أتقصد أن ليس ثمة قرابة بيننا؟».

ـ لا لم أقصد هذا. قررت الاعتراف بوجودك ولكن أنا من يختار الوقت المناسب وعلى طريقتي.

ـ وهل يُفترض أن أكون ممتناً لذلك؟.

ـ لا، ولكن أتوقع منك أن تنفّذ ما تؤمر به.

ثم أشار الجد إلى الإبريق والكوب فوق الطاولة بجانب السرير وطلب منه أن يسكب له بعض الماء.

ملأ روم كوب الماء وقال بهدوء وهو يقدمه إلى جده: «ما دمنا نتبادل المجاملات على هذا النحو. ما رأيك لو طلبت منك أن تذهب إلى الجحيم ثم أنصرف من حيث أتيت؟».

ـ لن تستطيع ذلك.

انتظر الجدّ لحظات كي يستوعب روم فحوى الحديث ثم أكمل: «هات الكرسي واقترب مني ثم اسمع جيداً ما أريد قوله».

شرب بعض الماء وأضاف وقد ارتسمت على وجهه علامات النكد والعناد: «ماذا تعرف عن أرنولد غرانت؟».

تمهل روم في رده وقال بهدوء: «أعرف أن المنافسة بينكما في مجال الأعمال قد تحولت إلى عداوة شخصية. وقد أخبرتني أمي أن الضغائن بينكما صارت كالسم وأفسدت الحياة في هذا المنزل سنوات طويلة، وهذا من أحد الأسباب التي دفعت أمي إلى الرحيل عنه».

ـ لقد تصرفت بغباء وكان الأحرى بها أن تبقى وتساعدني في محاربته بدل أن تجلب العار لنفسها.

مدّ الجد يده تحت الوسادة وسحب ملفاً. تناول منه صفحة اقتطعها من مجلة وطلب من روم التعرف إلى صاحب الصورة.

نظر روم إلى الصورة بلا اكتراث. رأى فيها رجلاً طويلاً ونحيفاً رمادي الشعر، يحيط به رجلان من السياسيين المعروفين، ثم قال:

ـ ماذا عن الصورة؟.

ـ سوف أخبرك ماذا أقصد بالتحديد.

ضغط مات على السرير بقبضة يده وقال:

ـ جدد هجومه عليّ مؤخراً. كنت أفاوض لشراء قطعة أرض سأقيم عليها سوقاً تجارية. وقد أعددت جميع الخرائط وتكلفت على الحفريات التجريبية والاستشارات، فعقد غرانت صفقة سرية وسرق المشروع مني. خسرت بذلك مئات الألوف من الجنيهات، وليست هذه المرة الأولى. ولكن أقسم بأنها ستكون الأخيرة لأني سأهاجمه بكل ما أوتيت من قوة. هذه المرة سأنال من عائلته بالذات.

أحس روم بالخطر ينبعث من صوت الرجل العجوز الهادر وقد نفرت شرايين جبينه من حدة إصراره وغضبه. فقال بهدوء:

ـ قال أحدهم ذات مرة إن أفضل وسيلة للانتقام هي أن تحيا حياة هانئة... هل فكّرت في ذلك؟.

لمعت عينا مات وقال:

ـ في نيتي أن أحيا حياة هانئة ولكن بعد أن أسدد الضربة القاضية لارنولد غرانت وأنهيه تماماً. وهنا يأتي دورك....

توقف برهة وأضاف: «لديه نقطتا ضعف إحداهما في هذه الصورة. هل ترى الفتاة الواقفة عند طرف الصورة؟».

حدّق روم ملياً في الصورة وقال: «نعم أراها».

ـ إنها حفيدته الوحيدة. ليست جميلة بالضرورة ولكنه يرى فيها بدر البدور ومن خلالها سوف أحطمه إلى الأبد....

توقف لحظة وأضاف: «بمساعدتك أنت».

انتفض روم محتداً من مقعده ورمى الصورة جانباً وقال:

ـ كفى. لقد تعدينا الحدود، لا أعرف مرماك أو ماذا تخطط ولا أريد أن أعرف.

استرخى مات على وسادته وقال واثقاً:

www.elromancia.com

ـ وكأنما لديك الخيار. اسمعني جيداً ولا تتحرك من مكانك. سوف تلتقي بالفتاة وتقنعها بالزواج منك. عليك أن تتصرف ولا يهمني كيف.

رمقه روم لحظات قبل أن يرد عليه بهدوء وأعصاب باردة:

ـ لست متأكداً مما تقول. إن كنت جاداً باقتراحك فأنا أرفضه، أو مازحاً فإني لا أرى فيه ما يمتعني لا من قريب ولا من بعيد.

ـ لا، بل أعني ما أقول. ولسوف تفعل ما أريد إن كنت تحرص على مصلحتك. والآن اجلس في مكانك.

إنه تهديد واضح لا لبس فيه جعل روم متوتراً من رأسه حتى أخمص قدميه.

لم يجد روم مفراً من أخذ التهديد على محمل الجد ولا بد له من مداراة الموقف... عاد يجلس مثبتاً نظره على جده وقال:

ـ أنا مزارع ولا أشارك في العداوات العائلية. ولا أهتم بعلاقة مع فتاة لا أعرفها. هناك الكثير من محترفي الغواية ويمكنك استئجار خدمات أحدهم لتنفيذ مآربك، قد يجدون متعة في ذلك بعكسي أنا بالتأكيد.

قال مات سمسون بصوت ناعم:

ـ نعم أنت مزارع إذا دامت لك كرمتك. لكن إذا طالبتك بالدين فستضطر إلى بيعها. وصدقني لن أتردد أبداً وسأفعل ما هو في مصلحتي.

نظر إليه روم مرتعباً.

ـ ولكنك لا تستطيع ذلك لأني أسدد الاقساط في موعدها و....

ـ ولكني أواجه مشكلة في تأمين السيولة، لقد خسرت كما تعلم صفقة كبيرة وعليّ أن أحصر خسائري.

سمح مات لنفسه بابتسامة انتصار ثم أكمل:

ـ لماذا لا تحسب العواقب؟ سيخسر عمالك وظائفهم وبيتك سوف يتهاوى. هل هذا ما تريده حقاً؟

كزّ روم على أسنانه وقال: «لا».

ـ إذن كن متعقلاً. فلن تواجه أياً من هذه المشاكل مع وجود ابنة غرانت. ليس لها أيّ ارتباط جدي وسوف تقع في حبائلك كما تسقط التفاحة الناضجة عن الشجرة.

ضحك مات بصوتٍ أجش وتابع:

ـ كانت مخطوبة ذات مرة ولكنها تخلّت عن خطيبها تعيس الحظ قبل أسبوعين من حفل الزفاف. أعتقد أنها حطمته تماماً، وأنا أراهن أنك تتفهم ذلك وسوف تقبل التحدي.

بدت على وجه روم الصلابة فجأة وقال ببرودة شديدة:

ـ يبدو أنك درست الموضوع من جوانبه كافة.

ـ المعلومات قوة لا يستهان بها. وآرني غرانت لا يعلم أن لي حفيداً... وهذه نقطة ضعفه الثانية.

هز روم رأسه لا يصدق ما يسمع وقال:

ـ تتوقع مني حقاً أن أتزوج هذه الفتاة. ما اسمها لا أدري؟.

ـ اسمها كوري.

خطر في بال مات أمر ما لكنه تلاشى بسرعة ولم يفصح عنه...

ـ إنه اسمها الحقيقي. ولكنها تشتهر باسم «عذراء الثلج» لأنها لا تسمح للرجال بالاقتراب منها.

ثم أضاف بضحكة ماكرة: «لكنك لن تتزوجها، لأن آرني غرانت حين يكتشف هويتك الحقيقية ويعرف أنك حفيدي وغير شرعي أيضاً فسوف يقيم الدنيا ولا يقعدها لمنع هذا الزواج وابعادك عن حياتها. هذا سبب وجيه يجعل استئجار غاوٍ محترف أمراً غير مجدٍ ولن تنجح الخطة إلا بك أنت، لأن غرانت سيريد التخلص منك بالذات قبل أن ينكشف المستور ويتحوّل وحفيدته إلى أضحوكة زمانهما. ولن يبخل عليك بأي مقابل تطلبه ثمناً لابتعادك. سوف أعلمه بأني على علم بالأمر، وأني أنا من دبر لهِ المكيدة كي يحيا ذليلاً بقية حياته. وبهذا أقضي عليه نهائياً».

هزّ برأسه مؤكداً كلامه وتابع: «مهما كان الثمن الذي تطلبه أو الذي يعرضه عليك غرانت، فأنا على استعداد كامل لأن آتيك بمثله. كما يمكنك أن تعتبر ديونك مدفوعة».

انفجر روم قائلاً: «ولكني قادر على دفع ديونك على أي حال. لقد أتيت إلى لندن بحثاً عن مصادر للتمويل وسوف أدفع لك ديونك من القرض الجديد. ولست بحاجة إلى صفقتك الدنيئة».

أجابه مات بنعومة:

ـ آه... ولكنك ستجد المال صعب المنال بعكس توقعاتك وآمالك. وستكتشف أنك غير أهل للثقة عند المعنيين لأني سأبذل كل ما بوسعي حتى أضمن نفاد حظك ومصداقيتك كلياً.

قام روم من مقعده وتوجه نحو النافذة حيث رأى ظلال الغروب تزحف على شجيرات الحديقة وماء المطر يتساقط عن أوراقها.

راح يقارن المنظر بضوء الشمس الساطع في طريق مونتيدرو، ودفء التربة في مزرعته وأحس بالكآبة تخيم عليه من الأعماق.

شغلت المزرعة كل حياته وصار العاملون فيها أهله وناسه ولم يشأ أن يخسر كل شيء بهذه البساطة.

قال دون أن يدير وجهه:

ـ إذن قطعت عليّ كل الطرقات. وهل فعلت الشيء نفسه في ايطاليا أيضاً؟.

ـ لم أضطر لذلك بنفسي. تكفل رجل اسمه باولو كريستي بذلك وحده، وهو يعتقد أنك تعاشر زوجته.

التفت روم إليه وانكر بأعصاب باردة: «هذا كذب وافتراء. أنا لم أرها أو أقابلها منذ زواجها».

فرد مات بابتسامة خفيفة:

ـ هذا عكس ما أوحت إليه زوجته. لا تنسَ، إن كيدهن عظيم.

حدّق روم بجده بمرارة وقال وهو يتوجه إلى السرير:

ـ هناك أمور أخرى يجب عدم تناسيها. هل خطر لك أن هذه الفتاة قد لا تجدني جذاباً؟.

ـ كثير من النساء أعجبن بك فلماذا تكون هذه استثناء للقاعدة؟.

صارحه روم بقوله: «ربما لا تعجبني أنا».

ـ ولكنك ستعجب بمال جدها غرانت... فكّر في هذا فقط وتغاضى عن أي أمر آخر إذا شئت.

نظر روم إلى الصورة وقال باشمئزاز:

ـ الصور لا تفصح عن شيء. أريد رؤيتها شخصياً قبل أن أعطيك قراري.

ـ لا جدال في ذلك.

ثم ناوله ظرفاً أنيقاً سحبه من الملف:

ـ هذه بطاقة باسمك لحفلة خيرية في فندق بارك رويال مساء غد. سوف تجدها هناك بدون جدها. تأمّلها وتفحصها كما يحلو لك.

سمعا طرقاً على باب غرفة النوم ودخلت كيت سمسون تحمل صينية القهوة.

قال والدها:

ـ لن نحتاج للقهوة لأن روم ذاهب الآن. عليه أن يفكر جيداً في أمر هام.

ثم التفت إلى روم وقد ازدادت ابتسامته خبثاً ومكراً:

ـ أليس كذلك يا... بنيّ؟.

لم يقض روم كل وقته في التفكير في القرار بل حاول الاتصال ببعض الممولين الذين وضعهم على لائحته ولكن من دون جدوى. وأدرك بمرارة أن أحداً لا يكترث لأمره، وتأكد من أن مات سمسون قام بفعلته على أكمل وجه.

والآن، ومن أجل مونتيدرو، عليه التورط في المرحلة التالية من حرب الاستنزاف بين عجوزين غارقين بالهوس والجنون.

عاد من الشرفة فسمع طرقة على الباب وكان ساعي الفندق يحمل له طرداً:

ـ هذا الطرد لك سيدي وصلك خصيصاً هذه الليلة.

سلّمه الساعي الطرد وانصرف.

عقد روم حاجبيه وهو يفتح الظرف السميك وسرعان ما عرف أنه ملف كامل عن حياة كوري غرانت، مكان اقامتها، كيف تقضي أوقات فراغها وأين تتسوق ومطاعمها المفضلة، حتى نوع العطر الذي تتعطر به.

اعترف روم متهكماً بأن التقرير لا يخلو حتى من أتفه التفاصيل. وفكر بأنه تقرير شامل إلى حد مرعب بما يؤكد أن مات خطط لفعلته منذ مدة طويلة تعود إلى ما قبل صفقة الأرض الخاسرة. فهذه الصفقة هي مجرد ذريعة لا أكثر.

تمدد على سريره وبدأ بقراءة التقرير.

* * *

جاء صوت فيليب على الهاتف مزيجاً من السخط والنقمة مضافاً إليه صرير مزعج:

ـ لقد جعلت مني محط سخرية الآخرين يا كوري حين تركتني بهذا الشكل.

لم يعجبها صرير صوته وفكرت من يا ترى يرغب في رجل كهذا؟ لكنها ردت عليه برصانة:

ـ لم أعتقد أنك ستلاحظ غيابي.

ـ مهلاً يا كوري... أوضحت لك أني صادفت بعض أصدقائي القدامى.

توقف لحظة عن الكلام ثم قال:

ـ حسناً سأعوض لك ما فات.

تحول صوته وأصبح أكثر وداً وحميمية: «ما رأيك بدعوة إلى العشاء؟ أعدك أن أهتم بك بكل جوارحي».

نظرت كوري إلى سماعة الهاتف باستغراب لا تصدق ما تسمع وقالت بلياقة: «شكراً... لا داعي لذلك، فليس بيننا ما يجمعنا».

ما عدا أمر وحيد تعرفه كوري. فوالده هو أحد أكبر المتعاملين مع جدها وهي تتفهم أن فيليب يخشى أنه يسيء إلى مكانة أبيه وعمله ويريد استدراك الأمر.

عاد فيليب إلى سابق لهجته وقال:

ـ اسمعي جيداً يا كوري، لقد اعتذرت لك ولا أدري ما الذي ترغبين في سماعه مني أيضاً.

ـ كلمة وداعاً تكفيني.

ـ اوه، أتعرفين ماذا يا كوري؟ آن لك أن تنزلي من عليائك إلى الواقع وإلا سينتهي بك الأمر عانساً وعجوزاً بائسة، لأني لا أعرف ماذا تريدين من الرجل، وأعتقد أنك أنت أيضاً لا تعرفين.

ردت كوري: «بكل بساطة يا فيليب، أريد الحنان، وهذا ما ليس عندك».

وأقفلت السماعة قاطعة عليه دمدمة جوابه.

كانت تفضل لو تركت المجيب الآلي يردّ على المخابرة فهي ليست على استعداد لسماع تبريرات فيليب بعد ليلتها المضطربة هذه.

كما أنها غير مستعدة للبحث في أسباب اضطراب ليلتها.

تنهدت قليلاً في طريقها إلى مطبخها الصغير حيث سكبت كوباً من عصير البرتقال وهيأت القهوة ثم اسقطت شرحات من الخبز في آلة التحميص.

توقّعت كوري أن يكون جدها المتصل التالي فهو متشوق من دون شك

لمعرفة كيف سارت الأمور وعليها أن تخترع كذبة بيضاء تشبع فضوله.

خلافاً لما توقعته اتصلت شيلي هذه المرة: «كوري... هل أنت هناك؟ ارفعي السماعة عندي أخبار هامة».

عبست كوري ثم رددت بصوت خافت: «هالو».

ـ لقد وجدت غريبك الغامض. دققت في لائحة المدعوين وعرفت أنه اشترى بطاقة في آخر لحظة واسمه روم دانجلو. إذن الكرة في ملعبك الآن.

ـ لا أعرف كيف أبدأ.

ردت شيلي وقد ضاق ذرعها:

ـ كيف لا تعرفين يا كوري واسمه غريب يسهل الحصول عليه من أي دليل!.

وافقتها كوري وشفتاها ترتعشان رغماً عنها: «ربما هذا صحيح، لكن إذا رغبت في العثور عليه».

ـ حسبت أنه أثار فضولك بشدة.

ـ نعم ولكنها إثارة لا أود بالضرورة أن تتكرر.

أدركت كوري فجأة أنها تتصرف كسيدة من العصور القديمة فأطلقت لكلماتها العنان وقالت:

ـ شكراً يا شيلي على ما قُمت به، ولكني اتخذت قراراً هاماً وهو ألاّ أتورط مرة أخرى مع أي رجل. فأنا أبحث عن الحنان وليس أيّ شيء آخر.

ـ ربما حصلت عليه. ألا يستحق هذا الرجل لفتة أخرى منك؟

ـ أشك في أنه استحق اللفتة الأولى. آسفة يا صديقتي. لا داعي للمحاولة فأنا في حالة ميؤوس منها.

ـ هذا كلام فارغ. إنها مجرد أوهام في رأسك.

أسبلت كوري أهدابها ونظرت إلى شعاع الشمس المتسلل من النافذة وقالت:

ـ أفضّل البقاء في البيت وقد أقصد النادي للسباحة في وقت لاحق.

نصحتها شيلي بسخرية قبل أن تقفل الخط:

ـ حسناً، افعلي ما شئت. سأتصل بك الأسبوع القادم.

* * *

كان النادي شبه خالٍ صباح كل سبت فانفردت كوري بنفسها وراحت تعيد اكتشاف توازنها وتناسق حركاتها في السباحة، متخلصة من توترها وهي تشق طريقها في الماء.

استراحت بعدها على أحد المقاعد الطويلة المنتشرة حول حوض السباحة وأخذت تقرأ في كتاب أحضرته معها. ولكنها تضايقت حين أحسّت أن أفكارها شاردة وأنها غير قادرة على التركيز.

فما زالت تفكر بما جرى ليلة البارحة ولم تقدر على طرد شبح روم دانجلو ونظراته المثيرة من مخيّلتها.

ظل اسمه يتردد في رأسها، فراحت تلعن شيلي لأنها كشفت لها هويته.

ظنت أنه لو بقي طيفاً بلا اسم أو هوية لهان عليه نسيانه. لكنها في الوقت نفسه أحست أن ما حصل بينهما في تلك الليلة كان قوياً بما يكفي حتى بدون معرفة اسمه.

وفجأة ارتعش جسدها بقوة كأنما يداً لمسته. فنهضت كوري من كرسيها وأزاحت شعرها عن وجهها. آن لها أن تستحم وقررت أن يكون حماماً بارداً.

ثمة مصعد يصل إلى غرف النساء في الطابق الأعلى. كان قسم النساء مجهزاً بكل الكماليات الجمالية التي تستعملها عضوات النادي كما يحلو لهن.

لم تكترث كوري اليوم لكل هذا كما تفعل عادة. فاستحمت بسرعة وارتدت زيها المعتاد لنهاية الاسبوع، أيّ بنطلون من الجينز وقميص أبيض. التقطت سترتها الجينز وحقيبتها واتجهت لتناول الغداء قبل أن يزدحم المكان. وقبل أن تخرج عادت إلى الغرفة ورشت قليلاً من عطرها المفضل

«ديور» على عنقها ورسغيها.

تساءلت بصمت وهي تشق طريقها نحو الدرج الرئيسي الواسع: «لماذا لا أتعطر؟».

وكانت قد وصلت إلى الدرجات الأخيرة التي نزلتها مسرعة ورأسها محني، حين أنذرها حدسها بأمر خطير فنظرت إلى الأعلى مذهولة.

شاهدته على الفور، واقفاً في أسفل الدرج ينظر إليها.

وعرفته بسهولة فأسرعت بخطاها.

أحسّت بشفتيها تتلفظان اسمه ثم تجمدت فجأة كمن لا يريد أن يصدق أو يعترف بأنه موجود هنا بلحمه وشحمه، ولم تفهم كيف ولماذا.

وفجأة زلّت قدمها فتمسكت بحافة لتتفادى السقوط أرضاً، لكن ذلك لم يمنع انزلاقها عدة درجات على وركها لتتكوم أمام قدميه.

ظلت على وضعها هذا لحظات تحاول استجماع قوتها وشجاعتها وسمعت تعليقات الناس من حولها غير غافلة عن الوجوه المصدومة وهي تنظر إليها من كل جانب. ولكنها لم تميّز بينها سوى وجه أسمر مليء بالجاذبية وعينين زرقاوين تزيّنهما رموش طويلة وأنف بارز وفم تشفع لضخامته وقسوته شفته السفلى المكتنزة المثيرة.

وسرعان ما اكتشفت أنها ممددة على طولها أمامه وهو راكع إلى جانبها يسندها بذراعه.

كان صوته خافتاً ورزيناً لكنه حمل لكنة لم تعرفها لأول وهلة:

ـ لا تحاولي الحراك، هل أصابك أذى؟

وجاء ردها سريعاً بالنفي القاطع: «لا».

استوت جالسة وقالت:

ـ أنا حقاً بخير، إنه مجرد حادث سخيف.

في الواقع، ستترك على وركها أكبر كدمة عرفتها في حياتها. لكنها لم تشأ التفكير فيها، وانصب اهتمامها على كيفية الخروج من النادي قبل أن تفقد ما

تبقى من رصانتها.

غير أن يده ظلت فوق كتفها تمنعها من النهوض:

ـ أجدني مضطراً لأخذك إلى مركز الطوارىء لاجراء الفحوص اللازمة.

ـ لا داعي لذلك. لم يلحق بي أي أذى.

انتشلت نفسها من بين يديه وابتعدت عنه لكنها أحست بدوار جعلها تترنح وعزت ذلك إلى يده الممدودة فوق كتفها أكثر منه إلى وقوعها.

ـ إذن خذيني أنت إلى مركز الطوارىء.

بدا وجهه مثل صفيح بارد لكن بريقاً مذهلاً لمع في عينيه وأكمل:

ـ لست معتاداً على أن تقع الفتيات أمامي ولعل الصدمة التي تلقيتها خطيرة وأحتاج إلى العلاج.

ـ اوه، أحقاً ما تقول؟.

رمقته كوري بنظرة بينما انتصبت بقامتها متألمة:

ـ يمكنني القول إنك أمضيت شبابك تصطدم بسيدات يقعن في طريقك.

تنبّهت فجأة لما قالته وأنبّت نفسها ولم تصدق أنها تفوهت بمثل هذه الكلمات.

رفع حاجبيه وقال بصوت هادىء وهو ينهض عن الأرض:

ـ المظاهر غشاشة، ربما حصل ذلك ولكني لا أذكر التفاصيل.

أسرع أحد المختصين بالعلاج الطبيعي إلى المكان فسرّت كوري لرؤيته. أجابت على الأسئلة ورفضت إجراء فحوصات لكاحلها لكنها وافقت على كتابة تقرير عن الحادث.

تدخّل روم دانجلو وأمسك بذراعها كأنه يسيطر على الموقف وقال:

ـ ستكتب التقرير في وقت لاحق. فالسيدة تحتاج الآن إلى شراب منعش.

تراجعت كوري من دون أن تجفل بوضوح. كانت ترتجف من غير أن

تدري، والطقس الخريفي ليس السبب الوحيد لذلك.

كان عليها أن تغادر المكان بأسرع وقت قبل أن يزداد الأمر تعقيداً.

قالت وهي تحاول السيطرة على صوتها المرتجف:

ـ إنني حقاً بخير ولا حاجة بك لأن تنشغل بي أكثر من ذلك.

ـ ولكني أجدني مشغولاً بك.

بدأ الناس الذين تجمعوا بالابتعاد وأكمل روم كلامه:

ـ لقد ارتميت في أحضاني وأنا لست على استعداد بعد لكي أتركك. فهل ستمشين معي إلى المقهى أم أحملك إليه؟.

سمعت كوري صوتاً من داخلها يقول: «بل سأمشي».

ولكن بالكاد عرفت أنه صوتها.

* * *

٣ ـ الحكاية بدأت هنا

فكرت كوري بالهرب والعودة إلى صوابها لأن ما يحصل هو الجنون بعينه. لكنها لم تقدر على الفرار لأنها تشعر بالألم ولأن روم دانجلو حمل حقيبتها ومفاتيحها. وها هي الحقيبة تتدلى من كتفه المفتولة العضلات وقد تقدّمها إلى المقهى ووقف ينتظر وصولها.

إذن ستبقى رغماً عنها! رافقها روم إلى طاولة في زاوية المقهى فجلست على أحد كراسيها الجميلة.

يبدو أنه كسب الجولة الأولى. وكان همها أن تضمن عدم الخوض في جولة ثانية. فكل غرائزها وأحاسيسها الداخلية تنذرها وتؤكد لها أن هذا الرجل خطر يجب الابتعاد عنه، خطر بأبشع المعاني وأكثرها بدائية.

أي رجل بمثل هاتين العينين وبهذه السمرة على مدار السنة ليس على لائحة من تود الارتباط بهم. غير أن الخطر الذي يوحي به روم دانجلو تعدى بحدوده جاذبية الجسد.

شعرت بأنها تعرفه أو كأنها عرفته طوال عمرها... وجرى هذا الاحساس في دمها وفي أعماق جوارحها فما زادها إلا خوفاً وحذراً.

أرادت أن تشرب قهوتها وتشكره بأدب ولياقة وتخرج، وظنت واهمة أنها بذلك تخرج من المأزق كله.

لم تكن كوري وحدها تحس بوجوده، فكل الأنظار مشدودة إليه، وكثر الكلام والاستفسار خاصة من جانب النساء حتى كادت كوري تحس بما

www.elromancia.com

يتملكهن من مشاعر.

لم تستطع أن تنكر عليه سحره وهي التي اختبرت تأثير نظراته.

كان روم أطول مما حسبته في البداية ويزيد طوله عنها خمس بوصات على أقل تقدير. وهو يرتدي بنطلوناً من الجينز الضيق، وقميصاً أبيض، وسترة من الكاشمير بلون الفحم وضعها فوق كتفه إلى جانب حقيبة كوري.

بدا عليه الاسترخاء والعفوية وكأنه يسيطر على الموقف بكل قوة.

أما كوري فلعلها الوحيدة في القاعة التي لم تضع على وجهها أي زينة ولم تسرّح شعرها المبلل بالماء. ولكنها لم تكترث أبداً.

حاولت أن تتمالك نفسها ولكن بصعوبة. ولما عاد إلى الطاولة راحت تتململ وأطلقت من غير وعي حشرجة مسموعة حاولت كبتها فلم تفلح.

قال وهو يضع كوبين على الطاولة: «إليك شراب «الارنيكا»».

رفعت حاجبها وقالت:

ـ أحقاً ما تقول؟ حسبتك ستأتيني بفنجان قهوة بالحليب.

أكمل روم كلامه كأنه لم يسمع تعليقها:

ـ تأتي الارنيكا على شكلين إما حبوب وإما شراب وهي مفيدة للاسترخاء، كما تمنع الأورام والكدمات.

اعترفت كوري باصابتها وعينها ترقبه وهو يهم بالجلوس على كرسيه:

ـ أعتقد أن الكدمة حصلت. هل عندك خبرة في طب الأعشاب؟

ـ لا.

ابتسم روم لها وهو يتأملها عن قصد من شعرها إلى جسمها النحيل وقميصها الأبيض ثم رفع نظره حتى التقت عيناه بعينيها وقال:

ـ لدي خبرة في أمور أخرى.

التقطت كوري فنجانها وقلبها يخفق من شدة الاثارة، شربت منه جرعة صغيرة، وقالت:

ـ يا إلهي.. هذا الشراب فيه الكثير من السكر.

ـ أنجع علاج للصدمة هو شراب حلو وساخن.

ـ لقد انزلقت عن درجات معدودة وأنا أشعر بالقليل من الألم، لكني لست مصدومة على الاطلاق.

رد عليها بهدوء: «آه... ولكنك لم تلحظي وجهك قبيل وقوعك».

صمت برهة كي يعطيها فرصة استيعاب كلامه وأكمل:

ـ هل أعجبتك الحفلة الراقصة؟

لم تستطع كوري إدّعاء أنها لم تلحظه. فهزت كتفيها بلا مبالاة وقالت:

ـ ليس كثيراً ولم أمكث فيها وقتاً طويلاً.

ـ يا للمصادفة، يبدو أن مشاعرنا واحدة تجاه هذه المناسبات.

ـ لماذا اشتريت البطاقة إذن؟

ـ دعماً لعمل خيري جيد لا يمكن لأحد التخلف عنه.

شرب القليل من قهوته ثم تابع: «ألا تحبين الرقص؟».

ردت بجفاء: «بل أعتقد أنه لا يحبني. عندي ميل للدوس على أقدام الآخرين وليس عندي إيقاع طبيعي».

ـ أشك في ذلك.

اتكأ روم بظهره على الكرسي، وعيناه الزرقاوان توحيان بالتهكم:

ـ في اعتقادي، لم تجدي الشريك المناسب بعد.

ساد صمت مربك ومضطرب للحظات أحست كوري خلالها وكأن أصابع خفية تمسح بلطف على نقاط النبض في جسدها.

وسارعت تقول: «ما دمنا نتحدث عن الصدف ماذا تراك تفعل هنا؟».

ـ أتيت لأتعرف على نشاطات النادي.

ـ هل تسكن في هذا الحي؟

طرحت كوري السؤال ولم تستطع رده.

ـ بل أخطط لذلك.

ابتسم قليلاً وتابع: «إذا لم يكن لديك اعتراض».

www.elromancia.com

ـ ولماذا أعترض؟

ـ يبدو أن ظهوري يجلب لك الألم والكآبة.

ردت عليه ببرودة أعصاب مصطنعة:

ـ لا، أبداً. لا تبالغ في تفسير حادث عابر في لحظة خرقاء. قلة رشاقتي لا تخفى على أحد. إن لندن مدينة كبيرة ويستبعد أن نتصادف مرة أخرى.

فقال روم بلطافة: «بل على العكس، قدرنا أن نلتقي من جديد على الأقل مرة واحدة، وكل شيء يحصل على ثلاث مراحل، ألا تعرفين ذلك؟».

اختصرت كوري الكلام، قائلة:

ـ ممكن، ولكني لا أؤمن بهذه الأمور.

تمنّت في قرارة ذاتها لو يحصل اللقاء الثالث ثم سألت بعد تردد:

ـ هل تنوي الانتساب إلى النادي؟

ـ لم أتخذ قراري بعد.

ورمقها بنظرة أخرى من عينيه الزرقاوين وأكمل: «ولكني أعترف أنه مجهز بكل ما أريده».

ـ لا تنسى أن الأيام مقسمة بعضها للرجال وبعضها للنساء.

وما إن أنهت تعليقها حتى جفّ فمها.

رد عليها روم بنبرة رقيقة ناعمة:

ـ ما عدا في نهاية الاسبوع، حيث تشجّع العائلات على زيارة النادي.

أخذت كوري تعبث بملعقتها وقالت:

ـ أهذا ما تخطط له؟ أن تحضر عائلتك؟

رفع روم حاجبيه، وقال:

ـ ربما ذات يوم، حين يصبح لي عائلة.

صمت لحظة ثم أضاف بصورة عرضية:

ـ اسمي روم دانجلو، ولكن لعلك تعرفين اسمي على أي حال.

غصّت كوري بشرابها ووضعت فنجانها على الطاولة بعصبية ثم سألته

بتعالٍ وازدراء:

ـ ألا ترى تبجحاً في افتراضك هذا؟.

رد عليها بقسوة وبلا خجل: «ألا ترين كلامك دفاعاً أكثر منه جواباً؟».

ـ لا أدري عمّا تتحدث.

أحست كوري بإحدى نوبات الحياء التي تنتابها بين الحين والآخر، وحاولت أن تخفي احمرار وجهها وتمنعه.

ـ والآن جاء دورك.

ـ ماذا تقصد؟

وأضافت في سرها: هل أقع مرة أخرى وأقلب الطاولة فأريق القهوة؟

ـ أن تقولي لي اسمك.

جاوبته بجفاء مفاجيء:

ـ أشكرك على مساعدتي يا سيد دانجلو. ولكن هذا لا يجعلنا أصدقاء.

ـ أكتفي بالتعارف.

ـ ولا هذا أيضاً.

هزت كوري رأسها تأكيداً لرفضها وأضافت:

ـ نحن مثل سفينة تمر بجانب أخرى في الظلام وتمضي في طريقها.

ـ لكننا لم نمضِ بسلام بل اصطدمنا....

مال روم بجسمه نحو كوري فأجفلت. وسألها سؤالاً فضولياً:

ـ لو تقدمت إليك ليلة البارحة ودعوتك إلى الرقص فماذا كنت لتردّي؟

لم تنظر كوري إليه بل ركّزت نظرها على الطاولة لحظات سرح فيها فكرها بعيداً وتراءت لها شتى الصور فاهتزت وارتعشت.

هزّت كتفيها بعنف حتى أثارت أوجاعها التي كادت تنساها وقالت:

ـ كنت سأقول... لا شكراً لدي رفيق فأنا لستُ وحدي هنا.

زم روم شفتيه متهكماً: «نعم لقد قام بواجبه على أكمل وجه!».

www.elromancia.com

دافعت كوري عن نفسها وقالت:

ـ لا شأن لك بذلك. عليك أن تعرف يا سيد دانجلو أني لست بحاجة إلى منقذ ولا لأمير ساحر يخطفني.

ـ ودائرة أصحابك مكتملة أيضاً.

كانت ابتسامته خفيفة، ولكن التحدي ظاهر في بريق عينيه.

ـ ماذا تبقّى يا ترى؟ أليس لديك حاجة لم تلبَ بعد؟.

احمرّ وجه كوري ولكن غضباً هذه المرة وليس خجلاً وقالت:

ـ شكراً، أنا راضية بحياتي ولا ينقصني شيء.

لم يقلق روم من لهجتها اللاذعة وقال: «أليس في حياتك جانب يمكن تحسينه؟».

ـ أحب البساطة.

ـ ومع ذلك تتعطرين بعطر كريستيان ديور، لا شك أن ذوقك أعلى مما تحسبين.

التقطت كوري حقيبتها وقد انحبست أنفاسها وهبّت واقفة.

ـ شكراً على القهوة، وعلى تحليلك الفاشل لشخصيتي. آمل أنك لا تعتاش من هذه المهنة. وداعاً يا سيد دانجلو.

وقف روم بدوره وعلى وجهه ابتسامته المعهودة وقال:

ـ إلى اللقاء في المرة القادمة يا آنسة غرانت.

لم تتنبه إلى أنه ناداها باسمها حتى بلغت الباب فاستدارت مشدوهة لا تصدق ما سمعته.

ولكن روم لم يكن هناك. عرفت أنه خرج من الباب المؤدي إلى الشارع مباشرة فشعرت باحباط شديد.

أطبقت كوري فمها بشدة، وأدركت أنه يلهو بها فقررت الابتعاد عن ألاعيبه وعدم الوقوع في حبائله بعد الآن. ولكنها في الوقت نفسه احتارت كيف عرف اسمها وتساءلت ماذا يعرف عنها أيضاً.

جاء صوت مات سمسون عبر الهاتف خشناً وضحكته مزعجة وقال:

ـ هل قابلتها حقاً؟ وتكلمت معها؟ أراك لا تضيع الوقت سدى.

رد عليه روم بصراحة ووضوح: «ليس لدي وقت كثير أضيعه، أريد أن أعود إلى حياتي وعملي».

توقف عن الكلام لحظات وتابع:

ـ ولكن صدقني، ايقاعها في حبائلي ليس سهلاً كما تتصور.

ـ هذه مشكلتك ولا مكان للفشل في معادلتنا. كيف يمكن لامرأة أن تقاوم إذا وجدت نفسها مسلوبة الإرادة وعاجزة؟

عضّ روم على شفته من دون أن يشعر وهو يتذكر نظرات التحدي والغضب في عيني كوري اللوزيتين بعد وقوعها عن السلم، كما تذكر نحول جسمها حين رفعها بين يديه. راوده إحساس غريزي غريب عندما تذكر شحوب بشرتها الرقيقة بحيث كاد يرى النبضات في عنقها المزوج بحرارة جسمها. ثم تشدق بالقول:

ـ هذه المرأة حالة استثنائية، لكني أفضل التحدي.

سأله مات بلهفة: «ومتى تراها مرة أخرى؟».

ابتسم روم ابتسامة خفيفة وقال:

ـ سأمهلها يومين اثنين. أحتاج لبعض الوقت لاستئجار شقة أجعلها قاعدتي.

ـ طلبت من مكتب كابتال العقاري أن يحضّروا لائحة بالمنازل اللائقة وهم في انتظار مكالمتك، لا تبخل واختر منزلاً يعكس الثراء.

أقفل روم هاتفه المحمول ورماه فوق السرير عابساً.

راودته أفكار سوداوية، فقد غرق في هذه المؤامرة حتى أذنيه ولا سبيل للتراجع. وكل هذا في سبيل انقاذ مونتيدرو.

كان عليه أن يتصالح مع نفسه ويتغلب على شعوره بالخجل والاشمئزاز

www.elromancia.com

من الطرق الدنيئة التي يعتمدها للحفاظ على كرمته ومنزله.

لم تكن كوري من الصنف الذي يعجبه كي يسعى للتحرش بها، ولكنه لم ينكر أنها أثارت فضوله، ربما لأنه لم يتوقع منها أن تقاوم تحرشاته بهذه الشراسة. وأخذ يسخر من ثقته الزائدة بنفسه.

على أيّ حال استمتع روم بهذه الجولة الأولى من معركتهما.

ما زالت في خياله داخل الحلبة تصارعه بأسلحة فعّالة غير تقليدية. وتصّور أنه يأخذها بين ذراعيه. ولكنه سرعان ما استبعد هذا من مخيلته، وقرر أن تبقى علاقته بها في حدودها الدنيا وأن يلجأ إلى ما في جعبته من وسائل الاغراء بحيث يقربها منه دونما حاجة إلى إغوائها جسدياً.

وهكذا راح يخطط للتقرب منها بحسب الطريقة المحافظة التقليدية، بالورود والمواعيد الرومانسية والعشاء على ضوء الشموع مع عناق عابر من حين إلى آخر.

تعلّم روم من تجاربه السابقة أن العلاقة الجسدية البحتة تخدع صاحبها إلى أبعد الحدود. وتجعله عبداً وتعمي ناظريه وتطمس على أذنيه فيصبح كالأبله الذي يصدق ما لا يصدق...

هكذا كان حاله مع غرازيلا.

وتنهد روم بحسرة وتساءل: لماذا لم يكتشف قبل تورطه معها أن وراء الوجه الجميل والجسد المغري امرأة عاهرة؟

من حسن حظه أنه لم يعد مهووساً بحبها. ولكنه حين طلبها للزواج، واضعاً مستقبله ومونتيدرو تحت رحمتها، انفجرت ضاحكة وسخرت منه:

- هل جننت يا كارو؟ أنت مفلس وكرمة دانجلو ماتت منذ سنين. سوف أتزوج باولو كريستي. اعتقدت أن الأمر معروف لدى الجميع.

- أتتزوجين رجلاً في سن والدك؟

وأضاف وهو ينظر إلى جسدها: «لن تفعلي ذلك».

- لا تكن غبياً. باولو مصرفي ناجح وثري؟.

مدت يديها الشرهتين إلى جسمه لتشدّه إليها. وقالت:

- إن زواجي منه لن يغير شيئاً في علاقتنا. سوف أحتاج إليك أكثر يا باولو كي تنقذني من الضجر القاتل.

حدّق إليها طويلاً ونظر إلى عينيها المشعتين وفمها الدافىء المغري وقال بلطف:

- لست لعبة تتسلى بها امرأة ساعة تشاء.

لم تصدق غرازيلا أنه سيتركها فعلاً ويرحل حتى حين وصل إلى الباب. ولم تتفهم رفضه وتمرده على الدور الذي اختارته له.

أصابتها هستيريا وصرخت:

- أنا أريدك لي، ولن أدعك تتركني.

ظلت تطارده وتتصل به هاتفياً وتترك له الرسائل في كل مكان، حتى يوم زفافها وبعده بأسابيع عديدة، وراحت تطالبه بالرجوع إليها.

بعدها جاء دور التهديدات فأقسمت على أن تجعل حياته جحيماً حتى يندم على فعلته. واعترف روم أنها نفذّت وعيدها وحطمت حياته بصورة أبشع مما كانت تحلم به.

في البداية، غرق في العمل في مونتيدرو مرغماً وعاش حياة ملؤها المرارة والغضب.

ولكن عمله بين دوالي العنب أعاد السكينة إلى حياته تدريجياً حتى أحس بالمسؤولية وراح يهتم بإعمار المزرعة إلى حد كبير.

قرر روم ألاّ يخسر ما لديه أو يفقد سكينته بسبب مكائد زوجة كاذبة وزوج غيور. وبعد تجربته مع غرازيلا تحاشى كل علاقة مريبة وحرص على أن تبقى علاقاته بعيدة عن أيّ تورط أو التزام من كلا الطرفين.

إنما كوري لا تدخل في هذه الخانة على الاطلاق. فمن الأفضل له ألاّ يفكر بنعومة ملمسها. قرر في الواقع أن يمتبعد كل هذه التصوّرات والتخيلات عن ذهنه على الفور.

لكنه يدرك أن الأمر ليس بهذه السهولة وليست هذه رغبته بالذات. فقد مرت لحظات أثناء لقائهما أحس فيها بعبق أريجها يملأ أنفاسه. أما نظافة شعرها وعطرها فأثارا روم الذي يعرف كيف يميز رونق المرأة بغريزته...

استغرب كيف يقال عنها «عذراء الثلج». وأطلق ضحكة ناعمة وهو يفكر في أنّ من وصفها بذلك مخطىء بلا أدنى شك.

* * *

وقف ارنولد غرانت أمام كوري ورمقها بنظرة استغراب وقال:

ـ أراك هادئة لا تتكلمين اليوم، بل كنت على هذا الحال طوال اليومين الماضيين. هل وقعنا في الحب يا ترى؟.

ـ لا أعرف إن وقعت أنت في الحب أم لا، أما أنا فبالتأكيد لا.

تنهد أرنولد وقال:

ـ أكاد لا أصدق ما أسمع. لماذا التأخير؟ ساعديني في تحقيق آخر مطلبين في حياتي.

رفعت كوري حاجبيها وسألت: «وما هما هذه المرة؟».

ـ الأول، أن أقدّمك في الكنيسة إلى رجل يحفظك ويرعاك بعد رحيلي.

ـ وهل تنوي القيام برحلة بحرية طويلة؟.

ردّ أرنولد كابتاً عبوسه: «تعرفين تماماً ما أقصده».

تنهدّت كوري وقالت: «وما هي أمنيتك الثانية؟».

ـ أن أرى وجه أمك صونيا حين تعلم أنها ستصبح جدة.

استنكرت كوري كلامه وقالت باستهجان:

ـ هذه قساوة وفظاظة، لن يعيبها هذا وسوف تفتخر بوليدي أمام كل الناس.

ـ ربما.

وافقها أرنولد مرغماً وصمت قليلاً قبل أن يكمل:

ـ أحقاً لا يوجد في حياتك رجل ولا حتى في الأفق القريب؟ كان أملي أن

ترتبطي بفيليب.

نظر إليها برجاء وأمل ثم سألها: «هل سترينه مرة أخرى؟».

جمعت كوري الشيكات التي حررتها لدفع المستحقات الشهرية وأحضرتها إليه لتوقيعها وقالت:

ـ لا يا عزيزي.

ـ آه، حسناً، الأمر ليس إلزامياً.

توقف لحظة وسألها: «ما عيبه؟».

أطلقت كوري تنهيدة عميقة وقالت: «بكل بساطة، لا يوجد أيّ تفاعل بيننا».

ـ آه، لا يوجد تفاعل حقاً!.

وقّع أرنولد على الشيكات صامتاً، وحين ردّها إليها قال:

ـ هل تعرفين حقاً ماذا تريدين في الرجل؟.

ـ اعتقدت ذلك ذات مرة.

وأكملت وهي تضع الشيكات في مغلفات:

ـ أما في هذه الأيام فكل اهتمامي ينصب على معرفة ما لا أريده في الرجل.

ـ وما هو يا ترى؟.

لم تقل له إنها لا تريد في المقام الأول قرصاناً من البحر المتوسط، عرف أسرار النساء وتمرّس في عشقهن.

هزت كتفيها، وقالت:

ـ لدي لائحة طويلة. والآن عليّ أن أمرّ بمكتب البريد ثم أذهب إلى السوبرماركت في طريقي إلى البيت. فليس عندي ما آكله.

ـ إذن امكثي هنا الليلة أيضاً.

ـ يا جدي، أنا هنا منذ يوم السبت.

ـ أعلم ذلك، وهذا ما يحيّرني.

www.elromancia.com

نهضت كوري من خلف المكتب وثوبها الصوفي البسيط يلتف على ساقيها:

- ولِمَ الحيرة؟ ألا يمكنني الإقامة معك بدون سبب خاص؟.

- ليس من عادتك أن تقيمي معنا هكذا إلا حين يكون لديك موضوع نتحدث فيه.

سرح بنظره قليلاً وأكمل:

- في بالك أمر تريدين مناقشته، أم تراك ترغبين بإخفائه عني؟

- أنا لا أخفي عنك شيئاً، ولكن هذه المرة كانت الزيارة للتسلية فقط.

وطبعت على رأس جدّها قبلة خفيفة في طريقها إلى الباب ثم قالت:

- شكراً على ضيافتك وسوف أراك غداً.

وضعت كوري المغلفات في البريد وهي تفكر في جدها الذي لا يخفى عنه شيء. وأشارت بيدها إلى سيارة التاكسي.

حين عادت إلى منزلها من النادي صباح يوم السبت بدّلت كوري ملابسها وجمعت بعض الثياب في حقيبة صغيرة، كسجين هارب يبحث عن مخبأ وطرقت باب جدها بلا سابق إنذار.

كل ذلك لأن روم دانجلو عرف اسمها. أصابها الذعر وتملكها الخوف والحذر، ولكن لم يخطر ببالها أن يعرف مكان إقامتها أو أن يلاحقها.

لم تأخذ كلامه على محمل الجد حين أكد لها أنه سوف يلتقيها مرة أخرى، واعتقدت أنها مجرد مجاملة تلطف الأجواء رداً على رفضها الواضح لرفقته.

عرفت أن تحرشاته المقصودة راقت له واستمتع بها خاصة حين أطال النظر إلى جسدها. وأحست أن أسرارها كلها مكشوفة أمامه بوضوح.

- إنه أسلوب مجرّب لا أدري إن كنت خبرته من قبل.

قالت ذلك بصوت عالٍ جعل سائق التاكسي يرمقها بنظرة استغراب وحذر.

كان السوبر ماركت على غير عادته قليل الحركة، فراحت كوري تستجمع أفكارها وتطرد روم دانجلو من ذهنها كي تركز على تبضعها.

اختارت بعض الخبز والحليب والبيض وعصير البرتقال. ثم توجهت إلى قسم اللحوم وفي نيتها شراء بعض شرائح لحم البقر لعشائها. وتنهدت قليلاً حين تذكرت حساء السيدة فيرغسون وشرائح السمك وفطيرة التفاح الفرنسية التي ستقدم على العشاء في منزل جدها.

ادارت عربتها بصورة مفاجئة وخطرة فاصطدمت بعربة أخرى آتية من الجهة المعاكسة.

قالت: «آوه أنا آسفة جداً».

وجمد الكلام في فمها حين عرفت عيناها المحدقتان باستغراب الشخص الذي اعتذرت منه. وقالت متلعثمة:

- أهذا أنت، ماذا تراك تفعل هنا؟

رد روم ببساطة: «أشتري الطعام، أم تراك تقصدين أمراً آخر بسؤالك؟».

- من هذا السوبرماركت بالذات؟.

وتغيرت لهجتها في منتصف الكلام وأكملت:

- هل هي صدفة أخرى من مصادفاتك الجميلة؟.

- سبق أن قلت لك إنّ الأحداث تجري على مراحل ثلاث.

جاء تبريره ضعيفاً ولكن بدا مظهره أنيقاً ومغرياً بسرواله الأسود وقميصه الأسود وابتسامة عينيه التي كادت تمس أعصابها.

- نعم لقد قلت ذلك.

تنفست بشكل ملحوظ وأكملت:

- أنت تطاردني أليس كذلك؟ لا أعلم كيف تعالج الأمور في البلد الذي أتيت منه، ولكن لهذا البلد قوانينه ضد مضايقة الأشخاص ومطاردتهم.

قاطعها روم قائلاً:

- مهلاً! لا تنفعلي، لو كنت أطاردك لما كانت عربتي ملأى بالمشتريات أكثر مما هي عليه عربتك. وهذا دليل على أني وصلت قبلك.

ردت عليه بغضب:

- ولكني متأكدة من أنك لم تدخل هذا المحل من قبل أبداً.

- يعني أنك كنت لتذكريني؟ أعتبر ذلك مجاملة منك.

- ليس في نيتي أن أجاملك.

- أصدقك. في الحقيقة أنا هنا مثلك. فالمحل قريب من منزلي لأني أقيم على منعطف فيرار ستريت.

- منذ متى؟.

نظر روم إلى ساعته وأجابها: «منذ ثلاث ساعات».

- أتعني أنك وجدت المنزل وانتقلت إليه وأنجزت كل ذلك منذ صباح السبت فقط؟.

هزّت كوري رأسها بالنفي وتابعت تقول:

- لا أصدق ذلك. يستحيل أن يحصل ذلك بهذه السرعة.

- هذا يعود إلى مدى إصرارك.

عادت نظرته المحدقة تتأمل كوري ملاحظاً دقة تفصيل معطفها الكحلي وتناسقه مع حذائها ذي الكعب المنخفض وشعرها المشبوك بربطة فضية فوق رأسها. وقال معلقاً:

- هذا وجه آخر من شخصيتك. فقد رأيتك في لباس السهرة ليلة الحفلة وشبه عارية في النادي، والآن أراك في ملابس رسمية.

ردت عليه بإيجاز: «هذا لباس العمل. والآن استأذنك كي أملأ عربتي أيضاً بالمشتريات».

لكنه لم يتحرك من مكانه وقال:

- أنت جدية في العمل كما يبدو.

- هذا صحيح وأحب عملي أيضاً.

تمتم قائلاً: «المظاهر توحي بالعكس، فالشركات البريطانية كما أعلم لا تتشدد في اختيار ملابس العمل».

- ربّ عملي من الطراز القديم. يجب أن أذهب الآن؟

أتكأ روم على عربته وعيناه ترمقانها عن قصد وقال بلطف:

- وددت لو كانت المرة الثالثة هذه أوفر حظاً.

- هل تعرف معنى كلمة التحرش غير اللائق أو المضايقة المتكررة؟.

ضحك روم وقال:

- ليس بالتحديد. ولكن ما هي برأيك الطريقة المثالية المؤدّبة كي يعبر الرجل عن اعجابه بامرأة في هذه الأيام؟

ردت كوري وهي تحاول السيطرة على أنفاسها المتسارعة فجأة:

- ربما عليه الانتظار كي تبادر هي وتخطو الخطوة الأولى.

فقال روم متهكماً:

- لا أجد هذا الخيار مغرياً، فقد يطول الانتظار والحياة قصيرة جداً وأنا رجل غير صبور.

قالت كوري وهي تحاول مرة أخرى فك عربتها العالقة بعربته:

- في هذه الحالة، لن أضيع مزيداً من وقتك أو أعيق تبضعك.

ابتعد روم ووقف قرب الرفوف يراقب باهتمام واضح محاولاتها غير المجدية لفك التشابك وقال بعد برهة:

- ربما تحاول العربتان الإيحاء بشيء ما.

- هذا أمر سخيف. ماذا يجري هنا؟

رمقته بنظرة حانقة ثم هزت العربتين بعنف وعصبية وقالت:

- لماذا لا تتصرف وتفعل شيئاً؟.

رفع روم حاجبيه وقال متصنعاً الاستهجان:

- ماذا تريدين مني أن أفعل؟ هل أصبّ عَليهما دلواً من الماء البارد كيّ أفكّ تشابكهما؟

فتحت كوري فمها وأرادت أن تنطق بكلمات قاسية توقفه عند حده ولكن بدلاً من ذلك أحست في أعماقها بقهقهة تدغدغها وتهدد بالانفجار.

وفيما هي على هذه الحال، اقترب روم ورفع عربته قليلاً وسحبها بعيداً عن العربة الأخرى ثم قال بهدوء: «ها قد أصبحت حرة».

ثم مشى في طريقه. ووقفت كوري تراقب خطواته وهو يبتعد عنها.

تنفست الصعداء بعد أن تخلّصت منه في النهاية، ولكن بدلاً من أن تشعر بالراحة جاءت ردة فعلها متضاربة ومتناقضة.

وبحركة مفاجئة، لحقت به إلى آخر الممر ونادته: «سيد دانجلو؟».

التفت إليها رافعاً حاجبيه متصنعاً الفرح بالمفاجأة السعيدة ورّد عليها بتهكم مقلداً لهجتها الرسمية المتكلفة:

ـ آنسة غرانت؟.

التقطت أنفاسها وسألته: «كيف عرفت اسمي؟».

ـ أخبرني أحدهم كما أُخبرت أنت عن اسمي، أليس هذا ما حصل؟

عضت كوري على شفتها واعترفت رغماً منها: «هذا صحيح».

ـ والآن كلانا يعرف اسم الآخر. هل ثمة أمر آخر؟.

ـ كنت لطيفاً معي حين زلّت قدمي وأعترف أني عاملتك بإجحاف وبغير امتنان.

توقفت عن الكلام تراقب ردة فعله فلم يفصح وجهه عن شيء.

بعدها علق روم قائلاً:

ـ آمل أن لا تتوقعي مني إنكاراً مؤدباً لمجرد المجاملة.

ـ وهل يفيد هذا الانكار؟.

ـ لا يفيد شيئاً. هل هذا كل ما عندك أم ترغبين بتعديل أقوالك؟.

سألته كوري بريبة: «ماذا تقصد؟».

قال بهدوء: «أدعوك إلى العشاء هذا المساء».

خفق قلبها بشدة وأجابت: «لا، لا أستطيع».

ـ ولم لا؟.

ـ لأني لا أعرفك.

جاء صوتها ممزوجاً بالخوف. فهز كتفيه غير مبالٍ وقال:

ـ كل الناس غرباء في البداية. أنا روم وأنت كوري. هكذا تبدأ الحكاية ولكن الخيار يعود إليك بكل تأكيد.

فكرت كوري بالعواقب... وبصوتٍ غريب عنها قالت: «أين؟».

ـ هل تحبين الطعام الايطالي؟.

وحالما هزت رأسها بالقبول قال:

ـ إذن في مطعم أليساندرو في شارع ويلارد عند الساعة الثامنة.

لاحظت كوري ابتسامته تنير فمه، وانحنت شفتاها خجلاً وقالت بصوتٍ مبحوح: «اتفقنا».

ـ هذا حسن، سأنتظرك بلهفة وشوق.

وهمّ بالانصراف لكنه استدار فجأة ومد يده إلى رأسها قائلاً:

ـ لست بحاجة إلى هذه العقدة.

لمست يداه شعرها وفك الرباط الفضي مسدلاً الخصل الحريرية حول وجهها.

قال بلطف ونعومة: «هكذا أجمل».

ثم انصرف وهي تراقبه بذهول ولا تصدق حقيقة ما قد حصل.

* * *

www.elromancia.com

٤ ـ بلا شفقة

راحت كوري تحدّث نفسها قائلة: «لا يجدر بك القيام بذلك، يجب ألاّ تذهبي».

كانت الساعة تشير إلى السابعة والربع، وكوري لا تزال ترتدي مبذلها وتجلس أمام منضدة التزيين تتبرج.

شعرت بالارتباك، لم تصدق أنها استسلمت بهذه السهولة، وقبلت أن تقابله، فعارضت بذلك حدسها ومبادئها أيضاً. فقد كان مبدأها الأول والأهم، ألا تخرج يوماً برفقة رجل لا تعرف أي شيء عن بيئته وعائلته.

قد يكون روم دانجلو شخصاً عادياً، لكنه لم يبد لها كذلك. وقد حدّثتها خطوط وجهه المتعجرفة بذلك.

راحت كوري تقول لنفسها بأنه كان يجدر بها أن تدعه يذهب، فينتهي الأمر عند هذا الحد، دونما حاجة للمضي فيه أكثر.

وضعت المسكرة على رموشها وراحت تفكر.

لعل روم دانجلو يعرف اسمها، لكن هذا كل ما يعرفه عنها، فرقم هاتفها تغيّر، ولا يمكنه أن يعلم أين تعيش.

لكن هذه عوائق يسهل تخطيها، لا سيما إذا كان الشخص يتحلى بالتصميم الكافي للقيام بذلك. فكرت كوري أنها بحاجة إلى خطة طارئة، وهي تضع قرطين من الذهب والكهرمان.

يمكنها مثلاً أن تغيّر شقتها، وتجد مكاناً آخر تعيش فيه، في مكان

مختلف من لندن. مكان تبقى فيه ريثما يعود روم دانجلو من حيث أتى.

حين تنبّهت إلى منحى الأفكار التي شغلتها، أسندت رأسها وراحت تسأل نفسها: هل أنت مجنونة؟ هل تفكرين فعلاً بالتواري عن الأنظار، لمجرد تحاشي لقاء عرضي؟.

من الواضح أن روم دانجلو يبحث عن التسلية، لكنها ليست من اللواتي يختارهن رجل يبحث عن هذا النوع الرخيص من الهوايات. ولكن لمَ تراه دعاها على العشاء الليلة؟

من المؤكد أنه جديد في هذه المدينة، ولا يعرف الكثير من الناس، وقد يكون تحرشه بها أمراً عابراً. فمن السهل أن يحظى رجل عازب في سنه وبوسامته بالرفقة التي يريدها، عدا عن الدعوات التي قد تتساقط عليه كوابل من المطر.

قريباً لن يكون لديه ما يكفي من الأيام والليالي ليلبي كل تلك الدعوات. لعل كوري مجرد بديل مؤقت.

كشرت كوري وهي تضع حول عنقها القلادة المناسبة للقرطين.

وترجّع في أذنيها صدى كلمات شيلي وهي تقول لها: «المرء لا يعيش إلا مرة واحدة، لذا عليه أن يستمتع بكل دقيقة في حياته».

لكن كوري ذكّرت نفسها بأنه لم يمر في حياة شيلي شخص مثل روب، ولم تعرف شيلي يوماً طعم الخيانة المرير الذي أذاقها إياه روب. وبالتالي لم تشعر شيلي يوماً بالحاجة إلى؟لتسلح ضد خطر تكرار تلك التجربة مرة أخرى.

لكن روب بات من الماضي الآن، ولا يمكنها التذرع به دائماً لصدّ أيّ علاقة جديدة.

كانت كوري تشعر دوماً بأنها ستقابل يوماً ما، شخصاً حنوناً ومحترماً يمكن الوثوق به، شخصاً يحبها كثيراً ويؤسسان معاً حياة سعيدة.

ولكن إلى أن يصل هذا اليوم، عليها أن تغير نظرتها إلى الرجال عامة،

www.elromancia.com

لتكون جاهزة حين يأتي فارس أحلامها على صهوة جواده.

وجدت كوري أن روم دانجلو هو الرجل المناسب لهذه المهمة، ليذكرها بالأحاديث التي يمكن أن يتجاذبها شخصان، بالأوقات السعيدة التي يمكن أن يمضياها.

نظرت إلى نفسها مطولاً في المرآة، فلاحظت أن الاحمرار كسا وجنتيها وأن شفتيها كانتا تلمعان بفعل أحمر الشفاه الذي وضعته عليهما.

سرّحت شعرها إلى أن غدا لماعاً وانسدل على كتفيها. وذكرت نفسها بسخرية أنّ هذه هي التسريحة التي يحبها روم.

تذكرت لوهلة يده التي تخللت شعرها ونزعت عنه المشط، فسرت في جسدها قشعريرة أشعرتها بالذنب.

كانت تلك مجرد لمسة من أصابعه، ولكن تأثيرها كان جارفاً. بقيت ترتعش عدة دقائق إثرها، إلى أن عادت واستجمعت شتات أفكارها.

عضت كوري على شفتها حين تذكرت ذلك، وقالت في نفسها إنها لن تدع ذلك يتكرر مرة أخرى. لن تسمح له بأن يلمسها مجدداً.

نهضت عن كرسيها وخلعت مبذلها. ثم ارتدت تنورة عاجية اللون، وقميصاً حريرياً طويل الكمين.

بعد ذلك، تفقدت محتويات حقيبتها وغطت كتفيها بشال بني اللون وغادرت المنزل.

كان مطعم آلساندرو يبعد عن منزلها مسافة خمس دقائق سيراً. أدركت أن خطواتها باتت حثيثة حين راحت تقترب من ذلك المكان، فأخذت تشغل نفسها بإلقاء نظرات مطولة على واجهات المحال.

لم تشأ أن تحضر قبله وتجلس في انتظاره، لتتجاذبها أفكار بالهرب.

حين باتت على بعد بارادت قليلة من المكان، فكرت كوري أنه ربما ندم على دعوتها وقرر أن يتخلف عن موعده. صحيح أنه تصرف يفتقر إلى الذوق والكياسة، لكن هذا سيحل الكثير من المشاكل.

نظرت بحذر من خلال الزجاج الأسود لنافذة المطعم، فوجدت المكان مكتظاً بالناس. لكن وعلى الرغم من ذلك، عثرت عليه من النظرة الأولى.

كان متكئاً إلى المنضدة لكنه لم يكن وحده. رأته يبتسم لفتاة جميلة تعتمر قبعة حمراء وترتدي فستاناً أسود قصيراً، وتنتعل حذاء عالي الكعب لم تتخيل كوري أنها قد تنتعل مثله يوماً.

كانت تقف على مسافة قصيرة جداً منه، تريح يدها على كتفه.

راحت كوري تراقب ما يجري بين روم وتلك الفتاة التي تناولت من حقيبتها بطاقة دستها في جيب قميص روم، فشعرت وكأنها تلقت لكمة في معدتها. لم تكن متحضرة للألم الذي سببته تلك اللكمة، ألم سببه الغضب، وشعور صعب عليها تحديده.

أطلقت كوري زفرة صامتة، وفكرت لحظة أن تعود أدراجها وتختفي في الظلام. لكنها وجدت فجأة أحد رواد المقهى يمسك لها الباب ريثما تدخل، فدخلت المقهى واختفت بين الجموع.

لكن روم كان يراقب المدخل، وحين رأى كوري اتجه بخفة نحوها تاركاً مرافقته.

كان يرتدي سروالاً رمادي اللون، وقميصاً فحمي اللون مفتوحاً عند العنق ومثني الكمين، بالإضافة إلى سترة من التويد كانت تتدلى على كتفه.

كان يتحرك بخفة والجموع تفسح له المكان ليمضي في طريقه، والنساء يتفرسن في مظهره الوسيم.

وقفت كوري في مكانها وقد شلّت وسامته حركتها.

قال لها حين أصبح قربها: «حبيبتي، اعتقدت أنك لن تأتي».

وقبل أن تتحرك أو تنبس بأي كلمة، وجدته يمسك بها ويعانقها بشغف.

كانت كوري من الذهول بحيث لم تستطع المقاومة أو الاحتجاج. وحتى لو فعلت، ما كان ذلك ليغير شيئاً. فقد كان يشدّها إلى صدره بقوة،

www.elromancia.com

ولم يعد أمامها سوى الوقوف هناك والتحمل.

حين تركها أخيراً، كانت عيناها تقدحان شرراً، فقد سمعت ما دار حولهما من أحاديث في تلك الأثناء، وانتبهت إلى النظرات التي كانت تراقبهما.

فقالت وقد اختنق صوتها: «كيف تجرؤ على القيام بذلك؟».

بدا روم سعيداً بما قام به، وقال لها: «أعترف أن الأمر يتطلب بعض الشجاعة، لكنه كان ضرورياً!»

فقالت له ببرودة: «عالج شؤونك الخاصة بنفسك، ولا تدخلني في مشاكلك!»

- ربما أنت على حق، لكنني لم أستطع مقاومة ذلك!.

- إذا كان الأمر كذلك، فما رأيك في أن تتناول العشاء وحدك؟

قالت ذلك، واستدارت تهم بالخروج، لكن روم أمسك بها قائلاً: «لا، لا تفعلي ذلك!».

ووجدت كوري نفسها فجأة محاطة بمضيفة أخذت منها شالها، ونادل يسألها ماذا تود أن تشرب، وكان آليساندرو شخصياً ينتظرهما ليقودهما إلى طاولتهما.

وجدت كوري أنها لن تستطيع الهرب، إلا إذا أثارت فضيحة في المطعم. وهكذا اتجهت رغما عنها إلى طاولتهما وجلست في مقعدها، وأخذت من النادل قائمة الطعام التي كان يعرضها عليها.

- شكراً لأنك بقيت!

فأجابته بصوتٍ متوتر: «أنت تتكلم وكأنني كنت أملك الخيار في ذلك».

- هل ستبقين متوترة طوال السهرة؟ لقد أغضبتك، وأنا أعتذر. لكن كان لا بدّ من القيام بذلك، لكي أتخلص من إلحاح تلك السيدة اللجوج.

رفعت كوري حاجبيها لدى سماعها كلماته، وقالت وقد بدا الشك في

لهجتها: «أنت تذهلني حقاً؟ لا تقل لي إنك لا تحب أن تتحرش بك إحداهن؟ فهذا ما يريده أكثر الرجال».

- لكنني لست مثل أكثر الرجال.

فقالت له كوري بقساوة: «لاحظت ذلك. ومع ذلك أخذت منها البطاقة».

وبخّت نفسها بقوة قائلة في سرّها: ما كان يجدر بي أن أعلق أهمية على ذلك. ما كان يجدر بي أن أريه أنني ألاحظ أدق التفاصيل التي تتعلق به. يا للساني الأبله....

وقطع عليها روم فجأة حبل أفكارها قائلاً: «كان عليّ أن أكون مهذباً معها».

ثم تناول بطاقتها من جيبه ومزقها إلى قطع صغيرة وضعها في منفضة السجائر. وتابع يقول بنعومة وهو ينظر مباشرة في عينيها: «لكنني أفضل أن أسعى أنا وراء النساء، لا أن يسعين هن ورائي!»

- لقد لاحظت ذلك، كما لاحظت أنك شخص لجوج!

- وهل يزعجك ذلك؟

هزت كوري كتفيها استخفافاً وقالت: «إن طريقة إدارتك لحياتك الخاصة ليست من شأني. أنت شخص حر ويمكنك أن تستمتع برفقة أي فتاة».

- ليس دائماً، وخاصة إذا كانت الفتاة التي ترافقني غامضة وعدائية.

قال ذلك ثم صمت لبرهة قبل أن يضيف: «لم تكن البداية جيدة بيننا يا كوري. لذا إذا كنت تعتبرين أنني أفسدت بتصرفاتي الأمور، وتودين فعلاً الذهاب، فأنا لن أمنعك».

صدقت كوري كل كلمة قالها لها روم، لكن لم يعد هناك امكانية للانسحاب الآن، فقد جاء النادل حاملاً طبقاً من الزيتون، وبدا لها الأمر فجأة بغاية التعقيد. وتذكرت كيف اتجهت إليهما الأنظار حين توجه نحوها

روم ليحييها وعانقها.

أضاف روم فجأة: «لكن آمل ألا تفعلي ذلك!».

ـ وهل سيؤثر ذهابي أو بقائي؟.

ـ آه، طبعاً. فقد سبق أن قلت لك إنني أكره أن أتناول الطعام وحدي.

فقالت ببرودة: «حقاً؟».

ـ نعم، هذا عدا من أسباب أخرى لن أزعجك بذكرها الآن، لا سيما أنك قررت البقاء!

قيّدتها نظراته، لا بل سمّرتها في مكانها. راح ينقل نظراته على وجهها، فشعرت بنظراته تلفحها بحرارتها، وبدأت نبضات قلبها تتسارع.

حاولت أن تحافظ على رباطة جأشها، وقالت له: «أعتقد أنني جائعة جداً الآن ولا أستطيع أن أرحل».

لاحت ابتسامة عريضة على وجهه، وقال: «إذاً تفضلين أن تتحملي ساعتين بقربي على أن تفوّتي عليك فرصة تذوق أكل آلساندرو؟».

أجابت كوري بهدوء: «آمل ألا يكونوا قد غيروا رئيس الطهاة!».

ثم تناولت قائمة الطعام، وراحت تقرأها.

بعد أن طلبا من النادل أن يحضر لهما ما انتقياه من طعام، سألها روم: «ما هي قواعد الارتباط؟».

لم تفهم قصده، فقالت له: «ماذا تعني؟».

ـ يبدو أن العناق ممنوع عندك. أتساءل إذا كان هناك موانع أخرى تودين فرضها.

ـ سبق أن تخليت عن أحد أهم مبادئي حين قبلت أن ألتقيك الليلة، وأعتقد أن هذا يكفي.

فقال بصوتٍ ناعم: «ولكنها ليلة عذرية!».

شربت كوري رشفة من كأس العصير، وأجابته: «هلا كففت عن توجيه هذه التعليقات؟».

ـ إذاً دعينا نتكلم عن الطقس، أو عن موسم التسوق.

عضت كوري على شفتها وقالت: «هذا سخيف حقاً».

ـ وأنت يا آنسة غرانت جديّة للغاية. هل تتصرفين على هذا النحو مع كل رجل تكونين معه على موعد؟

ـ عادة، أعرفهم أكثر مما أعرفك.

تذكّرت كوري فجأة فيليب اللجوج وكوارث أخرى واجهتها، فشبكت إصبعيها تحت غطاء الطاولة. فيما أضاف روم ساخراً: «لا تتحركين أبداً من دون أن تتأكدي من أن المكان آمن».

ـ وما الخطب في ذلك؟.

ـ ألا تملّين أبداً من الأمان؟ ألا تتعبين من التفكير بكل خطوة قبل اتخاذها؟ ألا تغريك الحياة المحفوفة بالمخاطر؟

نظرت كوري إليه بثبات، وقالت: «أعتقد أن هذا ما أفعله الآن».

قالت ذلك وأسندت ظهرها إلى الكرسي ووضعت يديها على الطاولة، قبل أن تتابع: «لمَ أنا هنا هذه الليلة، أتناول العشاء مع شخص غريب عجيب؟».

ـ وهل تحسبينني كذلك؟ شخص غريب عجيب؟.

ـ بالطبع! فقد ظهرت من لا مكان وأراك فجأة أمامي في كل مكان.

ـ كل ما في الأمر أنني رأيتك وأردت معرفتك عن كثب. ما الغريب في الأمر؟

ـ لماذا؟ لأنك أشفقت عليّ حين رأيتني في أفظع زي يمكن أن ترتديه امرأة؟

فقال لها بهدوء: «كلمة شفقة لا وجود لها في قاموسي!».

وسكت لبرهة قبل أن يتابع: «إذاً ماذا علي أن أفعل لأصبح أقل غرابة في نظرك؟».

ـ يمكنك الإجابة على بعض الأسئلة!.

www.elromancia.com

تناول روم زجاجة الماء يسكب الماء لكليهما، قبل أن يقول: «اطرحي ما شئت من الأسئلة!».

ترددت كوري للحظة، ولم تعرف من أين تبدأ، وسألته أخيراً: «لمَ تُدعى روم؟».

ـ لأنني ولدت في روما. أعتقد أن مخيلة والدتي لم تكن واسعة لتنتقي لي اسماً مختلفاً.

ـ وماذا عن والدك؟

لوى روم شفتيه، وقال: «لم يكن هناك ليبدي رأيه، وأنا لا أعرف اسمه حتى الآن».

غصّت كوري لسماع ذلك، وقالت: «آه، أنا آسفة!».

ـ لا حاجة لذلك! لقد اقترفت أمي خطأ، لكنها كانت حكيمة بما فيه الكفاية ولم تدع هذا الخطأ ينغّص عليها حياتها، وعرفت أنه يمكنها العيش وحدها بسلام.

ـ ولكن لا شك أن الأمر كان صعباً عليها!

فقال روم: «الحياة ليست وسادة ناعمة بالنسبة إلى أغلب الناس!».

شعرت كوري وكأن كلام روم يحمل إهانة موجهة إليها شخصياً، فقالت تسأله: «وهل تعنيني بذلك؟».

فقال بصوتٍ أجش: «وهل تربيت أنت في ظروف قاسية؟».

ـ مادياً لا! ولكن المادة ليست كل شيء في الحياة. ولا أعتقد أنك عانيت من ظروف مادية قاسية أنت أيضاً نظراً إلى مكان إقامتك وإلى الأماكن التي ترتادها!.

ـ أنا أكسب رزقي بنفسي.

ـ وكيف تقوم بذلك؟

ضحك روم لسماعه سؤالها وقال: «لدي كرم عنب».

ـ إذن أنت مزارع.

قالت كوري ذلك وشعرت بالارتباك. إذ أحسّت أنه يخفي سراً كبيراً، فهو ليس مجرد مزارع عادي.

سألته: «الكرم كله ملكك؟».

ـ نعم هو ملكي وأنا أعمل فيه... وأحبه.

كان صوته ناعماً، لطيفاً فأدركت كالي أنه رجل شغوف. وتساءلت إذا كان صوته بهذه النعومة حين يقول لامرأة إنه يحبها. لكنها عادت وتساءلت عما إذا قال ذلك فعلاً لأي امرأة.

نبذت سريعاً تلك الأفكار من خاطرها، فالوقت لم يكن مناسباً للتفكير بهذه الخواطر. وعادت تكمل الحوار الذي دار بينهما، فسألته: «وهل أنت في لندن لهذا السبب؟ لتبيع ما ينتجه كرمك؟».

الرحلات التجارية لا تدوم طويلاً عادة، وبالتالي سرعان ما سيسافر عائداً إلى بلاده، فتعود هي إلى نمط حياتها العادي من دون أن تقلقها أي أفكار غريبة أو أحلام مزعجة.

ـ نوعاً ما، فأنا أبحث دوماً عن أسواق جديدة للبيع. لذا سأمكث هنا لفترة غير محددة، إذا كان هذا ما تودين معرفته.

عضّت كوري على شفتها بعد أن اكتشفت حقيقتين في مرافقها وهما أنه تاجر وقارىء أفكار.

وخفت فجأة حدة التوتر الذي بدأت كوري تشعر به حين قدم النادل يسألهما بأي طبق يفضلان أن يبدآ.

بعد أن تم ترتيب الأمور وعادا وحيدين مجدداً، سألها روم: «هل لي أن أطرح عليك بدوري بعض الأسئلة؟».

ـ لا أعلم، ولكنني أفضل ألا تتطرق إلى الأمور الشخصية.

ـ هذا صعب، إلا إذا جلسنا على طاولتين مختلفتين وأدار كل منا ظهره للآخر. أنت أيضاً شخص غامض وغريب بالنسبة إليّ.

هزت كوري رأسها وقد ارتسمت ابتسامة على وجهها وقالت: «حياتي

كتاب مفتوح».

- إذا كان الأمر كذلك، فأنا أجد الفصول الأولى من هذا الكتاب خادعة، وأتساءل ما هي شخصية كوري غرانت الحقيقية؟

أجفلت كوري وقالت: «أنا... لا أفهمك».

فقال روم بصوتٍ ناعم: «كل مرة نلتقي فيها، أجد فيك امرأة مختلفة، صورة جديدة ومناقضة للصورة السابقة. الفستان الفضي الذي كنت ترتدينه في الحفلة الخيرية بدا قاسياً، ولكنك تبدين اليوم بهذا الزي أشبه بوردة نضرة تأسر الأنفاس».

اكتشفت كوري أنها أصبحت فجأة مقطوعة الأنفاس بدورها. حاولت أن تبتسم مجدداً، أن تظهر عدم اكتراثها لما قاله. لكن ذلك بدا لها بغاية الصعوبة، لا سيما وهي تغلي من الداخل.

- إطراء جميل، لكنه إطراء مبالغ فيه!

- هذا لأنك لا ترين الأمور بعيني.

وتوقّف قليلاً قبل أن يتابع: «إذاً أسألك مجدداً ما هي شخصيتك الحقيقية؟».

نظرت كوري إلى كوبها وقالت: «لا أستطيع إعطاءك أي إجابة. اختر أنت الصورة التي أعجبتك أكثر من غيرها!».

- إذا كان الخيار يعود لي، فآمل أن تتحقق الصورة التي أحلم بها في ليلة ما!

راحت عيناه تتأملان عينيها بنظرة شهوانية، ولم تترك كلماته أيّ مجال للشك بنواياه وأفكاره.

شعرت كوري وكأن نبضات قلبها توقفت، فاحمرت وجنتاها.

قالت بلهجة بدا عليها التوتر: «أرجوك... لا تقل هذا!».

- ألا تحبين أن تشعري بأنك امرأة جذابة؟

- بلى، في يوم ما... بنظر الرجل الذي أحب.

يا إلهي، يا لها من كلمات تافهة تفوهت بها! لقد بدت متكبّرة ومتكلفة. أطرقت كوري تتوقع من روم أن يبتسم لما قالته. لكن هذا الأخير لم يبتسم، بل بقي يتأملها ويتأمل تعابير وجهها التي صعب عليه تحديدها.

وأخيراً قال: «قولي لي يا كوري، لما تخشين أن تكوني امرأة بكل معنى الكلمة؟».

أنكرت كوري ذلك، وقالت: «لا أنا لا أخشى ذلك. وأرجوك هلاّ غيّرت الموضوع؟».

فقال لها روم بلهجة ساخرة: «ما الأمر؟ هل انتهكت مبدأ آخر من مبادئك؟».

- أنا مستعدة لكتابة كتاب كامل عن هذه المبادىء.

قالت ذلك وأرادت أن تتناول كأسها لترشف منه قليلاً، لكنها عرفت أنه سيلاحظ ارتعاش يديها، فيستنتج ما يحلو له.

هزّ روم رأسه وقال: «لا عناق ولا أسئلة أيضاً؟ أنت تصعبين عليّ الأمر فعلاً يا كوري!».

حاولت كوري أن تتكلف ابتسامة متوترة على شفتيها، وقالت: «لكن الحياة ليست وسادة ناعمة. أنا متأكدة من أنني سمعت أحدهم يقول ذلك. هذا درسنا الأول».

وكانت على وشك المتابعة، لكن النادل جاء حاملاً طبق الأرز مع الخضار الطازجة.

حين باشرا بتناول الطعام، تفاجأت كوري بالارتياح والمتعة اللّذين شعرت بهما.

دار الحديث بينهما حول الطعام بشكل رئيسي. وكان هذا حديثاً آمناً، لكن كوري بقيت تتساءل عن هوية وشخصية هذا الرجل الذي يجلس قبالتها.

لعل محور حياة روم الآن كرمه في إيطاليا، ولكن من الواضح أنه

www.elromancia.com

شخص يعتبر العالم كله موطناً له ويسافر كثيراً.

فكرت كوري أنه ما زال هناك الكثير الكثير مما لا تعرفه عنه، وراحت تتساءل عن أهله. افترضت من حديثه أن والدته إيطالية، ولكن إذا كان هذا صحيحاً، فمن أين له هاتان العينان الزرقاوان؟ لا بد أنه ورثهما عن والده الذي لم يتعرّف إليه قط. ربما كان والده سائحاً إنكليزياً استمتع بعلاقة غير شرعية مع والدة روم، ثم رحل من دون أن يعلم أن تلك العلاقة أثمرت عن مولود. لكن والدة روم كانت بلا شك قوية بما في الكفاية، لتأخذ على عاتقها مسؤولية تربية طفل من دون والد.

لكن كيف استطاع ولد غير شرعي أن يمتلك كرماً في توسكانا؟

فكرت كوري أنه ما زال هناك المزيد من الأسئلة التي تود طرحها عليه لترتاح لرفقته. ولكن لما ذلك إذا كانت لا تنوي رؤيته مجدداً؟

كان الطعام لذيذاً للغاية، تنهدت كوري بعمق وهي تتذوقه.

ـ أنت تتلذذين بالطعام إذاً!

ـ وما العجيب في ذلك؟.

ـ أنت نحيلة للغاية، اعتقدت أنك تتبعين نظاماً غذائياً قاسياً، كما تفعل أغلب النساء.

هزت كوري رأسها وأجابت: «لست نحيلة فحسب، بل أنا هزيلة. ومهما أكلت، لا يزيد وزني أبداً».

فقال لها بنعومة: «ربما أنت بحاجة لأن تكوني سعيدة».

بدت كلماته وكأنها علقت في الهواء بينهما. أرادت أن تحتج، أن تضرب الطاولة بعنف وتقول له إنها سعيدة، وإن حياتها كاملة ولم ينقصها شيء يوماً. لكنها لم تجد الكلمات. وبدلاً من ذلك، وجدت نفسها تتذكر عضلاته القوية حين أمسك بها، والتأثير الجارف لعناقه الذي لم يعرف نهاية... وشعرت بالوحدة والخوف اللّذين كانا يتملكانها أحياناً في الليل، ويجعلان فمها يمتلأ بطعم الدموع المريرة.

أحنت رأسها بعد أن خشيت أن ينظر في عينيها ويرى ما يجول في رأسها، وقالت بصوت منخفض: «أرجو أن تحتفظ بآرائك لنفسك، فأنا في حال جيدة. وهذا ألذ دجاج تذوقته في حياتي».

أرادت أن تقول له إنها لا تود تناول الحلوى والقهوة، وتتذرع بدوار أصابها فجأة، لكنها لم تستطع. وبدلاً من ذلك، راحت تتكلم عن المدرسة التي أمضت فيها سنوات دراستها في إيطاليا.

ـ تقع هذه المدرسة في فلورانسا وكانت تديرها الراهبات. كنا كل ليلة نسمعهن يقفلن الأبواب بالمفتاح، للتأكد من أننا لن نلوذ بالفرار أثناء الليل.

ضحك روم لما قالته كوري وسألها وهو يسكب العصير لكليهما: «هل كنت تفكرين بالهرب؟».

ـ وصلت إلى درجة شعرت فيها أنني إذا رأيت تمثالاً واحداً إضافياً أو لوحة، فسوف أجن. لم أعرف يوماً أنّ هناك هذا العدد الهائل من الكنائس والمتاحف والمعارض. لم نكن نحظى بمكان أو وقت للراحة. كنت أود لو أمضي بعض الأيام وحيدة.

ـ ولكنه لم يكن يسمح لك القيام بذلك، أليس كذلك؟

هزت كوري رأسها وقالت: «كانت المعلمات يستعجلننا وكأنهن يخشين أن يخطفنا أحد ما أو يلم بنا خطب ما».

ـ ربما كنّ على حق. وهل تفكرين بالعودة إلى هناك يوماً ما؟

ـ نعم، يوماً ما.

صمت روم لبرهة، ثم قال: «فلورانس مدينة جميلة، ولكنها ليست إلا جزءاً صغيراً من توسكانا».

وتوقف ليشرب القليل من العصير، ثم تابع يقول: «ثمة المزيد الذي لم تريه والذي يسلب العقول. وأعتقد أن توسكانا مكان مثالي لقضاء شهر العسل».

تنهدت كوري وقالت: «نعم، أنا متأكدة من أنها كذلك، وسوف أفكر بها عندما أتزوج وأبحث عن المكان المناسب لقضاء شهر العسل».

فقال روم: «إذن، ليس لديك مشروع زواج حالياً؟».

فأجابته كوري ببرودة: «لا، كما أنني لم أجد بعد الشخص المناسب».

ـ كم تبدين واثقة من ذلك! قد تلتقين غداً برجل أحلامك وتتغير كل مشاريعك!

فكرت كوري بغصة أن آخر مرة حلمت فيها برجل، كان ذاك الرجل... روب.

وقالت بصوت عالٍ: «لا أعتقد ذلك حقاً».

ثم تناولت قائمة الحلوى والشراب، فطلبت بوظة على دراق وفنجان قهوة إيطالية.

ـ هل ترغبين بإضافة بعض ماء الزهر إلى قهوتك؟

ـ لا، شكراً.

أحضر آلساندرو بنفسه فنجاني القهوة، وقال شيئاً بالإيطالية لروم الذي أجابه بابتسامة. كانت كوري واثقة من أنهما يتكلمان عنها، وراحت تحضر نفسها لإعطاء روم جواباً سلبياً حين يطلب منها أن يراها مجدداً.

التفت آلساندرو نحوها يسألها: «هل أعجبك الطعام يا سيدتي؟».

ـ كان رائعاً وألذ بكثير من اللحمة والسلطة التي أحضرها في المنزل.

ـ نعم والأهم من ذلك أن امرأة بجمالك يجب ألاّ تتناول الطعام وحدها!.

قال ذلك، ثم ابتعد عن طاولتهما مبتسماً.

التفتت كوري تشكر روم فقالت له: «أشكرك حقاً على دعوتي، كانت أمسية مسلية».

ـ مسلية؟ لا بل ممتعة.

ـ سمها كما شئت!.

وتناولت كوري حقيبتها وقالت: «كل ما أعرفه الآن هو أنه علي الذهاب، فالوقت متأخر».

نظر روم إلى الساعة في يده وقال: «بعض الناس يعتبرون أن السهرة ما زالت في أولها!».

ـ ولكنني لست من هؤلاء، لدي عمل في الغد.

فابتسم روم لها وقال: «انتظري!».

وقبل أن تمسك الشال الذي كانت تضعه على كتفيها عند وصولها، أمسك هو به ووضعه بخفة على كتفيها، فسرت قشعريرة في جسدها.

ابتعدت عنه خطوة، وقالت له بصوتٍ بدا عليه الارتياح: «أشكرك مجدداً على دعوتك لي، وعمت مساءً».

فقال لها: «ألا تعتقدين أن الوقت مبكر لتقولي لي ذلك؟ عليّ أن أرافقك إلى منزلك».

ـ ولكن لا حاجة لذلك. فمنزلي يقع على مقربة من هنا.

ـ أعرف بالضبط أين يقع منزلك، ولكنني لا أنوي أن أدعك تذهبين إلى هناك من دون مرافق، لذا دعينا لا ندور في حلقة مفرغة.

نظرت إليه مشدوهة وسألته: «وهل هناك ما لا تعرفه عني؟».

فضحك روم وقال: «ما زال الطريق أمامي طويلاً. ولكن هلاّ مشينا الآن؟».

ووجدت كوري نفسها تسير بقربه في ظلمات ذاك الليل البارد الرطب.

* * *

٥ ـ امرأة تصعب إثارتها

سارا بهدوء الواحد جنب الآخر، من دون أن يتلامسا، وكانت كوري مقطوعة الأنفاس لسيره بجانبها. توقعت أن يمسك بيدها أو بكتفها، وكانت ممتنة لأنه لم يقم بذلك بعد، فقد شعرت بحاجة إلى القليل من الراحة بعيداً عنه.

لم تكن تملك أدنى فكرة عما سيحدث حين يصلا إلى منزلها.

لم تذهلها فكرة أنه يعرف موقع منزلها، فقد توقعت ذلك بعد أن باءت كل محاولاتها للتملّص منه بالفشل.

راحت تتساءل وهي ترتعش، ماذا ستكون الخطوة التالية؟

لاحظ روم أنها ترتعش، لكنه أساء تفسير ارتعاشها، وقال لها: «هل تشعرين بالبرد؟».

وخلع عنه سترته ووضعها على كتفيها.

ـ شكراً لك!

انزلقت أصابعها في السترة الناعمة والدافئة فغطّت نفسها بها وكأنها تتأهب لأي غزو من جهته. ولكنها أخطأت بتصرفها هذا، إذ انبعثت من السترة رائحة روم الممزوجة بالصوف الذي حيكت منه السترة، رائحة ذكورية حركت أحاسيسها.

أسرعت تقول: «لكنك ستشعر بدورك بالبرد!»

فأجابها وقد ارتسمت ابتسامة على وجهه: «لا أظن ذلك، فقد أمضيت

الكثير من الأوقات في مناخات مماثلة».

ـ آه، نعم.

كانت كوري تسمع وقع قدميها وهي تسير بسرعة لتواكب خطواته الواسعة. وجعلها الهواء البارد، والرطوبة في الجو تشعر بوخز خفيف في أنفها.

تنهدت وقالت بصوت منخفض: «أعتقد أنها ستمطر».

ومع أن صوتها كان منخفضاً، إلا أن روم سمعها فسألها: «وهل يزعجك ذلك بشيء؟».

ـ لا لم أقصد ذلك!.

تورد وجهها فجأة. لم تشأ أن يفكر بأنها تحاول إيجاد موضوع حوار بينهما، فتابعت تقول: «لو كنت تعيش في الريف، لوجدت أن هطول المطر لا يزعج. فحين عشنا هناك كان كل شيء يبدو نضراً بعد أن تغطيه قطرات المطر، وكنت أحب ذلك كثيراً. لكن حين يتساقط المطر في المدينة، تفوح رائحة التلوث».

ـ أرى أنك كنت تحبين الريف أكثر. إذا كان الأمر كذلك، فما الذي جعلك ترحلين عنه؟

ـ لم يعد المنزل كما كان، بعد أن توفيت جدتي، فقد بدا لي حافلاً بالذكريات المؤلمة. لذا قرر جدي أن يبيعه ويستقر في لندن. لا ألومه على ذلك، لكنني أحن أحياناً إلى ذلك المكان.

ـ أين كان يقع ذلك المنزل؟

ـ في سوفولك.

بدا على صوتها الناعم الشوق إلى ذلك المكان، وهي تتابع: «كان ثمة بستان حوله ونهر يجري في الحديقة. وفي طفولتي، كنت أعتقد أنني في جنات عدن».

ـ كان الأمر مختلفاً معي، فقد ترعرعت في المدينة وقد انتظرت طويلاً

www.elromancia.com

قبل أن أحصل على جنتي الخاصة!

ـ لكنك حصلت عليها أخيراً!

ـ نعم، حصلت عليها وأنوي الاحتفاظ بها.

استدارت كوري لتنظر إلى روم مذهولة، فتعثرت بحجر غير مستوٍ على الأرض، فأسرع روم وأمسك بها لئلا تهوي.

شعرت كوري بوقع قبضة روم في كل عظمة وعصب من جسدها. ولكن هل أدرك روم تأثير قبضته عليها؟

ابتسمت وقالت: «يا إلهي، أنا آسفة حقاً. ربما كان ذلك بسبب السهر. لست معتادة عليه...».

أدهشه سماع ذلك، فقال يسألها: «ألا تسهرين عادةً؟».

فقالت وهي تبتسم ابتسامة حزينة: «نادراً، أليس هذا اعترافاً فظيعاً؟».

أجابها روم: «لا، بل يؤكد ما شككت فيه، وهو أنك تعملين بجدية وتفكرين باعتدال في كل ما هو ملذات».

ـ وهل يجعلني هذا أبدو مملة؟

فابتسم لها بلطف وقال: «لا لست مملة بل امرأة تصعب إثارتها!».

راحت تحملق به مذهولة، وحين توقف عن السير تطلّب الأمر بعض الوقت لتعي أنهما باتا أمام باب منزلها. شعرت بالإثارة والارتباك يتنازعانها. وبينما راحت تبحث في حقيبتها عن المفتاح، سمعت نفسها تقول له: «هل تود الدخول... وتناول المزيد من القهوة؟».

لكن رفضه كان قاطعاً، حين قال لها: «لا أستطيع يا عزيزتي، عليّ أن أعود إلى المطعم لأنهي تلك الصفقة مع آلساندرو!».

ـ آه، فهمت.

نبذت سريعاً خيبة الأمل التي شعرت بها جراء رفضه دعوتها، إذ لم تشأ أن يشعر بأنه يملك أي تأثير عليها، وقالت له بمرح: «أشكرك مجدداً على

هذا الطعام اللذيذ!».

ـ لا بل أنا الذي أشكرك لقبولك دعوتي!

تناول يدها من دون أن تعطيه إياها، ورفعها إلى شفتيه يطبع قبلة على كفها فراحت النبضات تتسارع من جراء ذلك الاحتكاك القصير.

ـ هلاّ سمحت لي بالسترة، إلا إذا كنت ترغبين في الاحتفاظ بها!

ـ لا، هاك السترة.

أعطته السترة واستدارت تضع المفتاح في القفل وقالت: «الوداع!».

ـ أفضل أن تقولي إلى اللقاء!

عندما انفتح الباب أخيراً، استدارت تنظر إليه النظرة الأخيرة، لكنه كان قد أصبح على بعد ياردات، يمشي بخطوات واسعة نحو حياته العادية واهتماماته الخاصة.

دخلت كوري إلى المنزل وأقفلت الباب خلفها وهي تقول في نفسها: «الأمر كذلك إذن!».

أما روم فقد راح يلعن نفسه وهو يمشي باتجاه مطعم آلساندرو. ما الذي دهاه بحق السماء؟ كان جده محقاً. من السهل جداً الإيقاع بتلك الفتاة.

ما كان عليه إلاّ أن يقبل دعوتها ويدخل إلى منزلها، فيحقق انتصاراً ساحقاً في أقل وقت ممكن، انتصاراً كان بحاجة ماسة إليه. ولكنه بدلاً من ذلك اعتذر متذرعاً بموعد كان قد أرجأه حتى اليوم التالي.

شعر روم فجأة بالحاجة لأن يحيطها بذراعيه، يحميها من المخاطر إلى الأبد. ولكنه عاد وعزا ذلك الشعور الذي انتابه إلى تعبه الزائد. فهو لم يكن ينوي إغواءها إلا بالكلام، وإغراءها بالوعود الكاذبة. الإغراء الجسدي لم يكن جزءاً من تلك المعادلة.

ولكن ما الذي تغيّر فجأة؟ متى لم تعد كوري مجرد هدف، وتحوّلت بنظره إلى امرأة بكل معنى الكلمة؟

ربما حين قال لها إنها امرأة تصعب إثارتها!

بحسب معلوماته، كانت كوري مخطوبة وعلى وشك الزواج. ولعلها أقامت علاقة حميمة مع خطيبها السابق، لكن حدس روم كان يقول له إنها ما زالت عذراء، جسدياً وعاطفياً.

لعل صورة العذراء العانس الباردة تلك نابعة من خيبة الأمل أكثر منها من اللامبالاة. ولعلها تقف تنتظر بكل طاقتها فارس الأحلام.

تذكر كيف كانت تقف في تلك الحفلة الخيرية، وعيناها الواسعتان مستعدتان لتوجيه الإتهام لكل من يرمقها بنظرة. فكر روم أنها قد تكون حركات تقوم بها لتمنع أحداً من الاقتراب منها.

لم يتوقع روم أن تعجبه كوري ويرغب في التقرب منها أكثر. لكن عليه تخطي ذلك، لا سيما أنه شخص راشد لا يقع تحت رحمة هورموناته. وذكّر نفسه بأنه يمكنه التحكم بنفسه جيداً.

قرر أن يتركها لبضعة أيام، حتى تشتاق إليه قليلاً، أو حتى كثيراً قبل أن يقابلها مرة أخرى.

لم يكن يجدر بروم أن يشعر بأي لين وضعف نحوها مهما كان الإغراء قوياً. عليه أن يحافظ على رباطة جأشه في تعامله معها، فلا يسمح لأي اندفاع أحمق من جهته أن يؤثر على مجرى خطته.

وإذا ما خلق أيّ جوع لدى كوري، فعليه أن يستغلّه. عليه أن يطعمها الفتات، حتى لا تقوى على التفكير إلاّ به، ومن ثم يوجه الضربة القاضية لها ولمشاعرها.

في هذه الأثناء، عليه أن يتخطى الألم الذي يشعر به.

عندما ينتهي من كل هذا، ويتأكد من أن مونتيدورو أصبح بأمان، قد يسامح نفسه ويأخذ عطلة يمضيها في بالي أو في الكرايبب، ويجد فتاة تسعى للتسلية، فيمضيان معاً أوقاتاً مسلية.

شخص لا يملك عظاماً مثل عظام العصفور، ولا بشرة مثل الهواء أو الحرير الخالص، أو بحة حزينة في صوته حين يتكلم عن طفولته.

تنهد روم بقلق وغضب وزاد من سرعة خطواته. لقد بدت له تلك العانس سهلة الخداع.

استندت كوري إلى باب شقتها، وراحت تحدق بالشقة من دون أن ترى شيئاً، وحاولت أن تخفف من تسارع نبضاتها.

ثم قالت بصوتٍ غاضب أجش: «لا أصدق أنني قمت بذلك! لا أصدق أنني قلت ذلك! لا بد أنني فقدت صوابي. والآن علي بطريقة أو بأخرى أن أستعيد صوابي، قبل أن أورّط نفسها في المتاعب».

راحت ترتعش، فطوقت نفسها بيديها.

قامت للتو بالدعوة الأكثر خطورة في حياتها وأفلتت من الشرك الذي نصبته لنفسها بسحر ساحر. رفض روم دعوتها لأسباب لم تفهمها، ولكن عليها أن تكون ممتنة لذلك.

لكنها لم تشعر بالامتنان، بل شعرت بدوار وذهول وجرح في كرامتها. شعرت حتى أنها ضائعة وأنها أهينت، فأقسمت ألا تسمح لذلك بأن يتكرر مرة أخرى.

ابتعدت عن الباب بهدوء وأغلقت الباب بسلسلة الأمان، قبل أن تتجه إلى غرفتها. لم تشعل الأنوار، بل تابعت سيرها نحو الغرفة المظلمة وارتمت على السرير من دون أن تنزع ملابسها أو تزيل الماكياج عن وجهها. تقوقعت على نفسها كأنها طريدة تحاول الإفلات من حيوان ضارٍ.

وكان هذا الإفلات في صالحها. وعلى الرغم من الاضطرابات التي شعرت بها، لم يكن بوسعها إنكار ذلك. فروم وهي ينتميان إلى عالمين مختلفين، لقاء هذين العالمين لا يعني شيئاً، لأنه سيرحل قريباً، ويعود إلى كرمه وحياته العادية. حياة لا تتسع لها، ولكن يمكنها أن تتسع لأي امرأة أخرى.

وهكذا ستبقى هنا وتعمل لحساب جدها، كما لو أنّ شيئاً لم يحدث. لذا من المهم ألا يحصل شيء، أو بالأحرى شيء جدّي. فهي لن تستطيع تحمّل

أي ندم حين يذهب روم. فكرت كوري وهي تدفن رأسها في الوسادة أن الوقت متأخر لاتخاذ مثل هذا القرار.

فمنذ أن تعرفت إليه في تلك الحفلة الخيرية وهي تعاني من الأرق. لقد غزا عالمها، وملأ أفكارها ودمر أحلامها.

بعد التجربة القاسية التي عانت منها مع روب، لم تسمح كوري لنفسها بالتفكير في الرجال مجدداً، وكان ذلك بغاية الأمان بالنسبة إليها. ولكنها راحت تتخيل مؤخراً أنها قد تلتقي يوماً رجلاً تحبه ويحبها ويتشاركان معاً حياة سعيدة.

لكن حتى حلمها هذا انتزع منها فجأة وحلت مكانه صورة أكثر سوداوية عن الرجال.

قالت في نفسها إن ما تشعر به نحو روم ليس حباً، بل مجرد رغبة وخجلت من الإعتراف بذلك.

بدا محفوراً في ذهنها، في مشاعرها. لكنها نبذت سريعاً الصور التي راودتها. أرادت أن تعود إلى ما كانت عليه. صحيح أنها لم تكن سعيدة، إلا أن جسدها وعقلها كانا ملكاً لها، لها وحدها.

جرحتها فكرة أن ما شعرت به هو شعور من طرف واحد، وإلا لما تذرع روم بتلك الحجة وانصرف دون أن يلقي أي نظرة إلى الخلف.

أقلقتها طريقة تصرفها. لقد كانت من الخجل، بحيث يستحيل عليها أن تطلب من الرجل الذي يرافقها أن يمضيا معاً وقتاً إضافياً، حتى ولو كان هذا الرجل الذي تنوي الزواج به.

ولكن الأمر اختلف هذه الليلة، فقد عرضت على رجل غريب الدخول إلى شقتها لاحتساء فنجان قهوة. تنهدت وقالت بمرارة جيد أنه لم يقبل دعوتها فالتورط معه سيؤدي إلى كارثة كبيرة، لأسباب عديدة.

عندما ستراه مجدداً، هذا إذا رأته، سوف تكون مرتاحة وتفرض عليه مبادئها من جديد. لن تخاطر مرة أخرى، لا سيما مع شخص مثل روم

دانجلو. سوف تتحكم بتصرفاتها وبمشاعرها.

لكن التفكير بذلك جعلها تبكي.

* * *

ـ آه، ما زال سامسون يتدخل في مشاريعي إذاً؟ ماذا ينوي هذا الشيطان العجوز أن يفعل؟ لمَ يشمر عن ساعديه الآن؟

أطرق أرنولد غرانت ينتظر أن يسمع تعليق حفيدته، ولكن عندما لم يسمع رداً، التفت بكرسيه نحوها، ليجدها تنظر من خلال النافذة شاردة الذهن. وكانت هذه المرة الأولى التي يراها فيها على هذا الحال.

ـ ولكن ما خطبك يا فتاة؟

فأجابت كوري: «أنا آسفة يا جدي، لا بد أنني مرهقة قليلاً».

وتكلفت ابتسامة قبل أن تتابع: «لقد خرجت ليل أمس».

ـ حسناً، لكن لا يمكن لليلة واحدة أن ترسم كل هذا السواد تحت عينيك! تبدين وكأنك لم تنامي منذ أسبوع. دعينا من ذلك الآن وقولي لي مع من كنت ليلة البارحة؟ هل أعرفه؟

تنهدت كوري وأجابت: «نعم جدي تعرفها».

شددت كوري على الضمير، قبل أن تتابع: «خرجنا أنا وشيلي إلى السينما، من ثم ذهبنا لتناول العشاء في مطعم صيني. وقد استمتعت كثيراً بذلك».

قالت كوري لجدها إن كل شيء كان رائعاً، الطعام والفيلم الذي شاهدتاه في السينما.

قال لها أرنولد: «لا يبدو أنك استمتعت حقاً بالخروج ليلة البارحة. لقد كنت هادئة طوال الأسبوع، وأنا لم أعهدك كذلك أبداً!».

ـ هل تعني أنني مملة وتود أن تستبدلني بشقراء ساحرة؟

ـ لا سمح الله! أنت لست مملة، بل شخصاً آخر. هل للأمر علاقة برجل؟

www.elromancia.com

فقالت كوري وهي تحاول أن تبتلع غصة في حلقها: «لا... بالطبع لا!».

لم تكن تختلق الأكاذيب لأنه لم يخلق بعد الرجل الذي يقلق كوري غرانت. هذا ما راحت تفكر فيه وهي تخرج من مكتب جدها.

لم تر كوري روم لأسبوع بدا لها أشبه بدهر. أثناء هذا الأسبوع راحت تلهي نفسها بالعمل والتسوّق وتنظيف شقتها. لكن عندما يخيم الليل كانت الأمور تختلف. فلم تكن تقوى على النوم، بل تمضي ساعات طويلة في الظلام الدامس، تسعى وراء النسيان.

تناولت المجيب الآلي تستعرض سريعاً على الشاشة الاتصالات التي تلقتها خلال النهار. لكنها لم تجد أي اتصال منه!

في الطريق كانت تتفرس في المارة من حولها علها تجده بينهم، وتنظر من خلفها علها تجد له أثراً. لكن كل ذلك كان سدى.

قالت في سرّها إن هذه القصة الغريبة انتهت قبل أن تبدأ. لا بد أن روم وجد امرأة أخرى يلاحقها، امرأة أكثر جاذبية. وهذا أفضل لكوري على المدى الطويل!

ولكنها كانت تواجه مشكلة على المدى القصير. قال لها جدها حين وجدها مرة أخرى على هذا الحال: «هل السبب هو المال؟ هل يزعجك أصحاب الشقة؟ هل تودين أن أوكّل محامياً ليهتم بأمرهم؟».

ردّت كوري مشدوهة: «لا، بحق السماء! لا علاقة لذلك بما أبدو عليه».

فقال جدها بصوت أجش: «إذاً ما الأمر؟».

هزت كوري كتفيها وقالت مراوغة: «لا شيء، لعل الطقس البارد هو السبب فأنا من الأشخاص الذين يفضلون الشمس. كما أني أشعر بالملل ولا أعرف ماذا سيحل بي. هذا كل ما في الأمر!».

وجاء دور الجد ليتنهّد، وقال: «آه يا عزيزتي، أنت بحاجة لأن تذهبي

إلى حفلات، أن تلتقي أشخاصاً جدد. كوّني حياة اجتماعية لك، استمتعي بسنك وبأوقاتك! لا بد أنني من جعل مزاجك يسوء».

ـ آه يا جدي، هذا ليس صحيحاً. كما أني أكره الحفلات!

ـ بالرغم من ذلك، أنت بحاجة إلى إجراء تغيير في حياتك! أنا ذاهب هذه الليلة إلى دورسيت لأمضي عطلة نهاية الأسبوع مع عائلة هاروود، لِمَ لا ترافقينني؟ فهم يسألونني عنك دائماً. سيكون حفيدهم موجوداً، فقد أنهى خدمة العلم. هل تذكرينه؟

نعم، تذكرت كوري بيتر هاروود. إنه شاب وسيم وضليع بكل ما يتعلق بالأمور الحربية. وهو متحمس دائماً للكلام عن خبرته في هذه الأمور، لساعات كانت تبدو لكوري من دون نهاية. وهي لن تسمح بأن تخضع لهذه التجربة من جديد.

قالت لجدها: «شكراً لك يا جدي، أنت لطيف حقاً! لكن ثمة مشاريع خططت لها وعلي القيام بها!».

راحت كوري تفكر بأن جدها سيسألها عن هذه المشاريع، فتتعثر وتتلعثم محاولة أن تجد ما تقوله. لكن لحسن حظها، رن جرس الهاتف، فحوّل جدها اهتمامه عنها ومضت تلك اللحظة الحرجة.

عند انتهاء دوام العمل، وبينما كانت كوري تتحضر للذهاب إلى منزلها، أمسك جدها بمرفقها وقال لها: «هل أنت متأكدة من أنك لا تودين مرافقتي إلى دورسيت؟».

ـ نعم، أنا متأكدة تماماً!

قررت كوري أن تستفيد من عطلتها، بدلاً من أن تجلس في انتظار مكالمة هاتفية من روم.

صحيح أن روم ظهر في حياتها، لكنه رحل الآن ويجب أن تكون ممتنة لذلك، بدلاً من أن تشعر بفراغ، كما لو أنه طعن قلبها بسكين حادة.

قالت في نفسها: «لكنني سأتغلب على ذلك. فقد قمت بذلك من قبل،

ويمكنني القيام به مجدداً».

وكخطوة أولى لم تذهب إلى النادي الرياضي، خشية أن تلتقي بروم هناك، وتذكرت لقاءهما الأخير بأسى.

وبدلاً من ذلك، قررت أن تتسوق، ومن ثم أن تذهب إلى هارفي نيكس لتتناول الغداء، على أن تقصد في فترة بعد الظهر السينما أو المسرح. أو يمكنها أن تذهب إلى وكالة سفريات، وتشتري بطاقة سفر إلى بلد تشع فيه الشمس في هذا الفصل.

لم تكن كوري تعلم ماذا تفعل. وهذا ما يحصل معها عندما تصل إلى نهاية خاسرة أو مضطربة. ولكنها ذكّرت نفسها بأنه لا يجدر بهذا الشعور أن يخالجها، لأنها كانت محظوظة بتوقف الأمور بينها وبين روم عند هذا الحد.

وأخيراً قررت أن تذهب إلى المتحف الوطني وتلقي نظرة على لوحات عصر النهضة الأوروبية.

ووجدت أن هذا ما تفتقر إليه حياتها في الوقت الحالي، فهي لا تحتاج إلى الرحلات والأسفار أو التسوق والذهاب إلى السينما أو المسرح، بل إلى مكان جميل وهادىء.

سوف تترك هذه التحف تمارس تأثيرها المهدىء عليها. من ثم، وبعد أن تهدأ، سوف تخطط لما ستفعله بما تبقى من نهارها.

لبست كوري تنورة رمادية اللون وكنزة من الصوف الناعم، ووضعت حول عنقها وشاحاً هو مزيج من العاجي والرمادي والقرمزي، وانتعلت حذاءً مريحاً. من ثم، تناولت معطفها ومظلتها، وانطلقت باتجاه المتحف.

كان المتحف مليئاً بالناس حين وصلت، فشقت كوري طريقها بين الجموع حتى وصلت إلى المكان الذي تعشقه أكثر من غيره في المتحف. لحسن حظها، كانت تلك الزاوية شبه خالية وكأن الجموع انصرفت لمشاهدة كل ما هو جديد. وقفت أمام لوحة لبوتشيلي هي المفضلة عندها. راحت تتأمل تلك اللوحة، فأعجبها ذاك التناقض بين ملوك الأرض والرعاة والعذراء

الجائية وابنها، والجمال الفتّان لملائكة السماء.

فكرت كوري بأن تشرب فنجان قهوة، ومن ثم تباشر بمشروعها الأول، أي التسوق في نايتس بريدج.

كانت كوري في طريقها إلى المقهى حين لاحظت وجود لوحة رأتها خلال زياراتها السابقة للمتحف. كانت تصور شاباً وسيماً، تغطي شعره المجعد قبعة، ويرمق ناظريه بنظرات باردة.

كانت كوري تراه دائماً عن بعد، لكنها دنت منه هذه المرة وبقيت مذهولة تحدق إلى الوجه الذي ينضح بالنشاط، والأنف القوي الصارم، والوجنتين المكتنزتين. راحت تنظر إليه وكأنها المرة الأولى التي ترى فيها هذه اللوحة.

راحت نبضات قلبها تتسارع، وتخيلت أن روم دانجلو لو عاش في القرن السادس عشر لكانت هذه اللوحة لآندريا ديل سارتو، تعود له.

منذ لقائهما الأول، خالجها شعور بأنها رأته في مكان ما من قبل، وكانت تحاول دوماً أن تتذكر أين. ها قد نجحت أخيراً في تحديد المكان.

هزّت كوري رأسها وارتسمت ابتسامة على وجهها وقالت تحدّث نفسها: «لون عينيك فقط يختلف، يجب أن يكون أزرق. فيما عدا ذلك، ملامحك كلها تشبهه تماماً... مع أنك عشت منذ خمسمائة عام».

ـ هل تظنين ذلك حقاً يا كوري؟ أعتقد أنك تمدحينني.

تناهت إلى مسامعها كلماته، فأدركت على الفور صاحب الصوت. إنه روم دانجلو.

* * *

٦ ـ الألم بين ذراعيه

نظرت كوري إلى الأرض، وتمنت لو تنشق وتبتلعها. آخر مرة شعرت فيها أنها غبية، كانت يوم وقفت بعتبة بابها، ورفض روم دعوتها فأحسّت بإحراج كبير. كما شعرت أنها غبية أيضاً حين وقعت أمامه.

والآن ها هو يمسك بها وهي تحدّث نفسها، تعبّر عما يجول برأسها من أفكار بصوتٍ عالٍ، كما اعتادت أن تفعل دائماً.

استدارت ببطء والحمرة ما زالت تصبغ وجهها.

كان يقف على بعد بـاردة واحـدة منهـا، مـن دون أن يبتسـم، عيناه ضيقتان، وشعره الرطب الأجعد يتدلى على جبينه. كان يرتدي سروالاً أسود، وكنزة مناسبة، ويحمل على كتفه سترة لحرية اللون مضادة للمياه.

رفعت كوري نظرها إليه وقالت: «ثمة ما يقال عن الذين يسترقون السمع».

فأومأ روم برأسه وقال: «أعرف ما يقال، ولكن وددت أن أستمع إلى تعليقاتك التي لا تجرؤين على قولها في وجهي».

ـ ماذا تفعل هنا؟

ـ ما تفعلينه أنت. . . أنظر إلى لوحات عصر النهضة.

ـ وهل هذا مجرد صدفة؟

ـ لا، ليست صدفة محضة، فقد قصدت هذا المكان على أمل أن ألتقي بك.

تمنت كـوري لـو تهـدأ الثـورة التـي بـدأت تغلي في داخلهـا، وقـالـت بعجرفة: «لا أجد داعياً لذلك!»

ـ حقاً يا حلوتي؟ أعتقد أنك لا تشغلين خيالك بقدر ما تشغلين حكمك على الآخرين، اللهم إلا فيما يتعلق بهذه اللوحة.

ونظر إلى اللوحة ثم إليها وقال: «هل ترينني حقاً كذلك؟».

احمرت وجنتا كوري أكثر وقالت: «لا يمكنك أن تنكر أن ثمة شبه بينكما، ولم يذكر الرسام اسم صاحب الرسم، لذا قد يكون أحد أجدادك».

فلـوى روم شفتيـه وقـال: «أشـك في ذلـك، لكنـي أجـد تفكيرك رومنسياً».

ـ ولكنني من الآن فصاعداً، سأحاول أن أتحكم به! سأتركك الآن تستمتع بالنظر إلى هذه اللوحات.

وإذ همت بالابتعاد عنه، أمسك روم بمرفقها وقال لها: «لا تقولي لي إنك راحلة!».

فهزت كوري كتفيها استهجاناً وقالت: «لقد رأيت ما جئت لأراه».

فقال لها روم بصوتٍ ناعم: «وأنا كذلك، يا للصدف! إذاً أمامنا الآن بقية النهار لنمضيه معاً».

ـ لا تكن واثقاً من ذلك، يا سيد دانجلو. فلقد سبق أن خططت لما أنوي القيام به اليوم!

ـ هل يتعلق الأمر بشخص آخر؟

ـ هذا الأمر لا يعنيك.

ـ يكفي أن تقولي لي لا!

كانت عيناه الزرقاوان تتراقصان، وشعرت بفمها يجف.

قال لها فجأة بصوتٍ متملق: «أشفقي على حالي يا كوري، الغي التزاماتك وامضي النهار معي بدلاً من ذلك».

بدا صوته ناعماً وهو يقول لها: «هيا، العبي دور المرشد السياحي

معي».

عضت كوري على شفتها، وقالت: «لا أعتقد أنها فكرة صائبة».

ـ لم تعطني أيّ فرصة بعد! قد تتغير الحال فيما بيننا.

فقالت له كوري: «ألم يقل لك أحد لا يوماً؟».

ـ هذا يتعلق بالسؤال! لكن أعدك يا كوري غرانت أنك إذا قلت لي لا يوماً وعنيتها، فسوف أنفذ ما ترغبين فيه.

مضت لحظة صمت تقطع الأنفاس قطعها روم فجأة حين قال: «سوف تأتين معي، أليس كذلك؟».

أمسك بيدها وقبل أن تعي ما يجري، سمحت له بأن يقبض على أصابعها.

هز رأسه متفهماً صمتها، ثم تحرك باتجاه الباب الرئيسي. مشى بسرعة فائقة فاضطرت كوري للركض لتقدر على مواكبة خطواته.

قالت له وهي تلهث: «انتظر لحظة، لم تقل لي بعد إلى أين تصحبني».

ـ أولاً إلى موقف السيارات.

ـ هل اشتريت سيارة؟

ـ لا، بل استأجرت واحدةً.

ـ وماذا بعد؟

رمقها بنظرة سريعة وهو يبتسم، لكن بدا التحدي في عينيه الزرقاوين.

ـ سنذهب إلى سوفولك بالطبع يا عزيزتي.

قالت كوري: «لا شك أنك تمزح، أليس كذلك؟ لست جاداً في ما تقوله».

لكن كوري أدركت أنهما أصبحا خارج لندن الآن، ومتجهين نحو مقصدهما.

ـ هل سلكت الاتجاه الخاطىء؟ فأنا ذاهب إلى سودبوري.

ـ لا، بل سلكت الاتجاه الصحيح. لكنني حتى الآن لا أفهم لماذا تفعل

هذا؟

كانت السيارة رياضية، داكنة اللون ومترفة، وبدا روم متحكماً جداً بقيادتها.

ـ سئمت الروتين، ولا بد أنك سئمت أنت أيضاً.

ـ نعم، لكن هذا لا يدفعني إلى السفر فجأة إلى سوفولك، فالطريق طويلة جداً.

ـ لكن ما زال أمامنا النهار بكامله.

رمقها بنظرة وقد ارتسمت على شفتيه شبه ابتسامة.

ـ هل تفضلين أن نعود، فنزور معرضاً أو متحفاً آخر؟

ـ لا، لا أرغب بذلك.

لم تكن متأكدة من أنه بإمكانها العودة، ليس الآن، ولا في أي وقت آخر. شعرت بأنها قامت بقفزة متهورة في الظلام.

قالت بلهجة توسل: «لكن كل هذا يحصل بسرعة...».

ساد صمت قطعه روم حين قال: «إذا جئت يوماً ما إلى إيطاليا، فسوف أريك كل الأماكن المهمة بالنسبة إلي».

ـ بما في ذلك كرمك.

فضحك روم وقال: «بما في ذلك كرمي».

ـ حسناً، آمل ألاّ تتضايق في سوفولك. فهي جميلة، لكنك لن تجد فيها أيّ منحدرات صخرية شاهقة، أو تلال.

فهز روم كتفيه وقال: «سوف أحكم على ذلك بنفسي».

راحت كوري تراقبه وهو يتجاوز تقاطع طرق خطر من دون مجهود، فقالت: «أنت سائق ماهر!»

ـ هذا طبيعي، فأنا أقود منذ وقت طويل. ألا تملكين سيارة؟

هزت كوري رأسها وقالت: «أفضل أن أتنقل من دون سيارة في المدينة. وأنا غالباً ما استعمل القطار أو التاكسي للذهاب إلى العمل أو

www.elromancia.com

للتسوق».

ـ للأسف لا أملك في مونتيدورو وسائل النقل هذه. لذا من الأفضل أن يقتني كل امرىء سيارته الخاصة.

هزت كوري رأسها وسألته: «هل زرت شرق انكلترا من قبل؟».

فأجابها: «لا، لم أكن إلا في لندن. لكن لما تطرحين هذا السؤال؟».

ـ لأنك تبدو وكأنك تعرف الطريق جيداً، ومن دون مساعدتي.

ساد الصمت لفترة قصيرة، لكن روم قطعه حين هز كتفيه وقال: «لدينا خرائط للطرقات في توسكانا، وأنا قادر على التمرّن على طريق في نهار واحد».

ـ هل هذا يعني أنك خططت مسبقاً لكل هذا؟

قالت كوري ذلك، والتفتت إليه ثم تابعت: «لكنك لم تكن واثقاً من أننا سنلتقي اليوم، أو حتى في أيّ يوم آخر».

فقال بهدوء: «أنت مخطئة في ذلك، فقد علمت أنني سأراك مجدداً. حتى أنت كنت تعلمين ذلك. إذا لم يحصل ذلك اليوم، فكان سيتم في أي وقت آخر. أنا قادر على الانتظار».

قالت كوري في نفسها، نعم، إنه ماهر في ذلك. ألهذا السبب تركها طيلة هذا الأسبوع؟ ليجعلها تنتظره وتضرب أخماساً بأسداس؟

ـ لا أعتقد أنني ما زلت أعلم شيئاً.

ـ أأنت نادمة على مجيئك معي؟ هل كنت تفضّلين أن تبقي في معرض اللوحات، تقفين أمام لوحة وتحاولين إيجاد أوجه الشبه بين الشخص الموجود فيها، وشخص تعرفينه؟ هل تفضلين الرسوم الزيتية على اللحم والدم؟

ـ ما تقوله مزعج، وغير صحيح.

ـ يسرني سماع ذلك.

عضت كوري على شفتها، ونظرت إلى السماء، ثم قالت بخشونة: «يبدو أن المطر توقف عن الهطول، لا بد أنك رتبت ذلك أيضاً».

فضحك روم وقال: «بالطبع، أردت أن يكون هذا اليوم مميزاً بالنسبة إليك يا عزيزتي».

صمتت كوري مجدداً، لكن صمتها لم يدم طويلاً. وكيف يدوم بعد أن بدأت تتعرف إلى أماكن عرفتها حين كانت صغيرة؟

وهكذا شعرت على الرغم منها بالسعادة في داخلها.

ـ سوف نصل إلى سودبوري بعد قليل. أين تقترحين أن نذهب؟

ـ تقع لافينهام على مقربة من هنا، وهي جميلة حقاً ومليئة بالبيوت الخشبية القديمة.

ـ هل ذاك هو المكان الذي ترعرعت فيه؟

هزّت كوري رأسها وقالت: «لا، كان منزلنا يقع على البحر، في منطقة تدعى بلوندام».

فقال روم: «أرغب كثيراً برؤية ذاك المكان. هل تمانعين في ذلك؟»

ـ لا، ولمَ أمانع؟ لكن هلاّ قلت لي لما ترغب في رؤيته؟

ـ لأعرفك أكثر.

كان يبتسم ولكن صوته بدا جدياً.

استقامت كوري في جلستها وقالت: «أليس هذا مضيعة للوقت، لا سيما أنك تنوي الرحيل عما قريب؟».

ـ يمكنني في الوقت الحالي تعديل مشاريعي! لكن دعينا من ذلك الآن وقولي لي هل ثمة مكان نتوقف عنده في لافنهام لتناول الغداء؟

فردّت كوري بصوتٍ أبح: «بل هناك أماكن عدة!».

ثم نظرت من النافذة وراحت تفكر بمعنى كلامه.

كان المطعم في فندق سوان مكوّناً من غرف صغيرة تتسع لشخصين. جلس روم وكوري في غرفة منعزلة مؤثثة بصوفا مريحة وطاولة. وجاءت النادلة، فقدمت لهم حساء من الأعشاب، وسندويشات من السومون المدخن لكوري، ومرتديلا لروم.

www.elromancia.com

في طريقهما إلى الفندق، زار روم وكوري الأسواق فرأيا دار البلدية القديمة، التي غدت اليوم مركزاً اجتماعياً.

توقّف المطر نهائياً وبدأت الشمس تظهر من وقت إلى آخر من خلال الغيوم، فيما بقي الجو بارداً بعض الشيء.

وسألها: «أخبريني عن بلوندام!».

ـ أخشى أن يخيب أملك، فهي مجرد قرية صغيرة قلما يزورها السواح، ما عدا محبي المشي والطيور على أنواعها.

قال روم بطريقة جافة: «آمل ألا يخيب أملي كثيراً!».

ولكن كوري هي من أصيبت بخيبة الأمل. فقد وصلا إلى بلوندام، بعد أن سلكا ممرات ضيقة. ما إن وصلا إلى القرية، حتى تذكرت كوري الأسماء التي علت المحال التجارية والمقاهي. كانت الأسيجة الزهرية اللون تحيط بمعظم المنازل.

سألها روم حين رأى ذلك: «لمَ معظم المنازل زهرية اللون هنا؟».

هزّت كوري رأسها وأجابت: «إنها مجرد تقاليد، سوف ترى ذلك في كل مكان في سوفولك».

وصمتت قليلاً، ثم تابعت تقول: «لقد قال لي جدي إنهم كانوا في القديم يمزجون الجص ودم الحيوانات ليحصلوا على هذا اللون. ولكنني لا أعلم مدى صحة هذه القصة».

توقفت كوري قليلاً عن الكلام قبل أن تقول لروم: «إذا سلكت هذه الطريق، فيمكننا أن نصل سريعاً إلى منزلنا القديم».

ـ ومن يملكه الآن؟

ـ ثنائي إنكليزي قام بزيارة هذه القرية فأعجب هذا المنزل السيدة. قال جدي لي إنهما وجداه كبيراً جداً ومنعزلاً ولكن حين توصلا إلى السعر الذي أرادا أن يدفعاه، قاما بشرائه من جدي.

وصمتت كوري، فقال لها روم بصوتٍ هادىء: «لكن يبدو أنهما لم

يحتفظا به».

ركن سيارته في موقف بجانب حائط كبير كتب عليه بأحرف كبيرة: «مباع»، وبأحرف صغيرة: «إلى المالكين الجدد مجموعة فنادق (كاونتري وايد)».

ـ فندق! آه، لا! أنا لا أصدق ما أرى.

بقيت كوري جالسة في السيارة وقد أجفلها ما قرأته، وبدا الرعب على ملامحها. لكنها عادت وخرجت من السيارة، وراحت تتفقد المنزل من خلال السياج العالي المحيط به وقالت: «لم يبيعاه فحسب، بل نقلا أغراضهما منه وتركاه فارغاً. أنظر إلى الحديقة... إنها أشبه بالأدغال!».

دفعت كوري أحد الأبواب المحيطة بالمنزل، فأصدر صريراً حاداً وانفتح.

ـ لقد عرضت علينا مجموعة الفنادق هذه أن تشتري المنزل حين عرضناه للبيع. لكن جدي فضّل أن يبقيه منزلاً خاصاً، فرفض عرضها. ولهذا السبب باعه لآل جيسون.

وهزت كوري رأسها ثم قالت: «لا يمكنني أن أخبره بذلك، لأنه سيتضايق كثيراً إذا ما علم بالأمر».

ـ ربما لا، فقد قلت لي بنفسك إن جدك قال إن ذاك الزوج الإنكليزي وجد هذا المنزل كبيراً ومنعزلاً، وهذه الصفات تصلح لفندق.

وضع روم يده على كتف كوري وقال لها: «هلاّ ركبنا السيارة لنذهب باتجاه البحر، أو أنك ترغبين بتفقد المنزل؟».

ـ بعد أن قطعنا كل هذه المسافة، عليّ أن أودّع هذا المنزل على الأقل. ربما الأمر أسوأ مما أظن، لعل مصانع سامسون هي التي اشترت المنزل.

توقّعت كوري من روم أن يطرح عليها سؤالاً أو يطلب استفساراً، لكنه لم يطرح أي سؤال ولم يطلب أي تفسير بل أفلت يدها بنعومة وهما يسيران باتجاه المنزل. قال عندما دنيا من المنزل: «إنه منزل جميل حقاً وبسيط. لا

www.elromancia.com

يستحق أن يكون فارغاً!».

قالت كوري وهي تشير بإصبعها: «كانت غرفتي هناك، عند النافذة الأخيرة. اخترتها لأسمع صوت البحر خلال الليل، وكان صوت البحر ناعماً على الدوام. ولكن حين تهب العواصف، كان صوت البحر يبدو أشبه بهدير، وكان جدي يقول لي إنه صوت المسخ الذي يلتهم الأرض».

- ألم يكن ذلك يسبب لك أحلاماً مزعجة؟

- لا، لأنني كنت أعلم أنني بأمان بين أهل يحبونني. ولن يصل المسخ إلي أبداً!

ولكنه وصل!

قالت كوري ذلك في سرّها وهي تتذكر روب، فتغيرت كل ملامحها...

- ما الخطب؟

كان روم يتأملها، فلاحظ العبوس الذي ظهر فجأة على وجهها.

تكلّفت كوري ابتسامة، وأجابت: «لا شيء، لماذا؟».

- لقد تغيرت ملامحك فجأة. فبعد أن كنت تتذكرين، بدوت فجأة مذعورة، خائفة.

سكتت كوري وهزت كتفيها، ثم قالت بهدوء: «ربما كان عالم الذكريات مكاناً خطراً!».

فسألها روم بلهجة شبه غاضبة: «أتظنين أن المستقبل يحمل لك أماناً أكبر؟».

فقالت كوري في سرّها بأسى: لا، إذا لعبت دوراً فيه...

ثم قالت تجيب على سؤاله بصوت عالٍ هذه المرة: «أحاول أن أعيش كل يوم بيومه، ولا أفكر بالمستقبل».

وتحركت باتجاه الحديقة الحجرية، مضيفة: «سوف أريك الآن حديقة جدتي! كانت تزرع فيها الورود والنباتات الرائعة!».

صعدت كوري إلى أعلى السلم الحجري، وأجفلت بعد أن وجدت الحديقة قد اختفت، ليحل مكانها حوض سباحة يحيط به آجر متعدد الألوان. حتى المنزل الصيفي اختفى وحلت مكانه مقصورة.

ابتلعت كوري غصة في حلقها، ثم استدارت لتواجه روم، وقالت له: «شكراً لك لأنك اصطحبتني إلى هنا. لكني رأيت ما فيه الكفاية وأود العودة حالاً إلى المنزل».

تغضن وجهها، وبدأت تمسح الدموع التي راحت تسيل رغماً عنها على خدّيها.

قال روم بعض الكلمات يواسيها، ثم أحاطها بذراعيه وشدها إلى صدره. راحت يداه تمسحان وجهها وضمها إلى صدره.

اتكأت عليه وراحت تبكي وتتنهد بأنفاس سريعة. تنشقت الهواء المنعش الممزوج برائحة النظافة المنبعثة من سترته، كما تنشقت رائحته، رائحة بدت لها غريبة ومألوفة في الوقت عينه. راحت تشمه، وتملأ رئتيها من رائحته الرجولية العطرة.

وفيما هي تبكي، راح يهمس لها بكلمات، تارةً بالإيطالية وتارةً بالإنكليزية.

لم تفهم كوري أياً من تلك الكلمات، لكنها أدركت أنها كلمات مؤاساة.

شعرت بفيض من الحنان، فرفعت رأسها ونظرت إليه. كانت تبكي بأنفاس سريعة، وبدت مرتبكة.

لامست أصابعه الطويلة رموشها المبللة فخديها، وأبعد شعرها المشعث عن وجهها. كان يقوم بكل ذلك من دون أن تنبس كوري بكلمة.

شعرت أنه بدأ يبتعد عنها فصرخت بصوتٍ مبحوح من أعماقها: «لا»!

بقي متوتراً للحظة، متصلب الملامح. لكن عينيه الضيقتين بدأتا تغليان فجأة. وحين تحرك، ضمها إليه أكثر، ولكن الهدف لم يكن المواساة هذا

المرة.

عانقها بنعومة كما لو كان يجفف دموعها بحنانه.

تنهدت كوري، وشعرت أن جسدها بات طيّعاً بين يديه، فضمّها إلى صدره أكثر.

كانت مستعدة لذلك، وراح قلب كل واحد منهما يغلي في داخله. نسيت التفكير والتحليل والخوف، ولم يعد هناك إلا العناق الذي بدا من دون نهاية. قالت في نفسها إن هذا ما كانت تحلم به.

حين ابتعد عنها أخيراً، راحت ترتعش إلى درجة أنها كادت تهوي لولا أن ذراعه الحديدية أمسكت بها.

لفظ اسمها بصوتٍ أجش ثم عانقها مرة ثانية، وثالثة. وسمعت نفسها تطلق تأوهات سعادة.

ولكن صوتاً بعيداً قطع عليهما تلك اللحظات الحميمة فجأة، فوجدت كوري نفسها محررة، بعد أن ابتعد روم عنها بضع خطوات، محاولاً التحكم مجدداً بتصرفاته.

قال بصوتٍ ناعم وكأنه يتكلم مع نفسه: «لم أكن أنوي القيام... بذلك».

حاولت كوري أن تسترجع رباطة جأشها، وقالت: «كانت هذه غلطتي، فقد تأثرت كثيراً بما رأيته، واحتجت إلى من يحضنني!».

ـ لا، لقد كان ذلك متبادلاً، لا تنكري ذلك!

سادت فترة صمت قطعتها كوري بقولها: «هل أنت نادم على ما حدث؟».

ـ لا، ولكن ما كان يجدر بي أن أقوم بذلك!

بدا روم مرتبكاً وغاضباً، فقال: «من الأفضل أن نذهب!».

بقيت كوري ترتجف وهما يتجهان إلى السيارة. شعرت بوجع في جسمها كله وفي قلبها أيضاً.

انتبه روم لحالها، فقال لها: «هل سببت لك ألماً؟».

ـ لا!.

لكنها كانت تكذب، فقد سبب لها روم ألماً، حين كانت بين ذراعيه، ألماً سيدوم إلى الأبد. الأبد الذي بدأ هنا!

* * *

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

٧ ـ تجنبوا لعبة القدر!

تلبّدت السماء بالغيوم من جديد، وبدا الشاطىء الشمالي رمادي اللون، حزيناً، وهما متجهان نحوه.

ساد الصمت بينهما، ولكنه لم يكن صمتاً أنيساً، بل صمت ناجم عن توتر شديد وعوامل أخرى يصعب تحديدها.

جلست كوري متقوقعة على نفسها في مقعد السيارة، تتأمل بسكون قطرات المطر التي راحت تتساقط على السيارة.

لم تتجرأ على النظر إلى عيني روم الذي كان يركز على القيادة بوحشية تقريباً.

إن اندفاع الموج وتراجعه، يعكس صورة حياتها. راحت تفكر بذلك والألم يلف أعماقها.

رأت شبهاً كبيراً بين البحر وبين حياتها، حياة لم تعرف ولن تعرف الاستقرار أبداً! فهي تارةً تشعر بالإثارة تجتاح كيانها كله، وتارةً تشعر بأنها منبوذة، تتمسك بحطام علاقة فاشلة.

فكرت كوري في أنّ أيّ تلميذ يفهم لغة الجسد سيقول إذا ما نظر إليها أنها دائماً في موقف الدفاع.

ذكرتها القميص التي ترتديها بذاك الموقف الحميم الذي عاشته منذ دقائق. وشعرت بأن جلوسها إلى جانبه، في هذا المكان الضيق، هو أشبه بالعذاب.

لكنها استقامت في جلستها بعزم مفاجىء وقالت: «هلا أوقفت السيارة من فضلك؟ أود أن أتمشى، علّ ذلك يشعرني بالراحة».

ثم توقفت قليلاً عن الكلام ونظرت إلى وجهه وتابعت: «... إذا لم يكن لديك مانع!».

فقال روم ببرودة: «بالطبع لا! إنها فكرة جيدة، وشيء ربما نحتاج إليه كلانا».

كان الهواء بارداً يعصف من جهة البحر كضيف كريه فنزعت كوري الشال الذي كانت تلفّه حول عنقها، وغطت به رأسها.

استدار روم إلى الجهة الأخرى من السيارة وقال: «هل أساعدك؟».

ـ لا، شكراً لك!

شعرت بفمها يجف، وبنبضات قلبها تتسارع وهي تفكر بأصابعه تلامس شعرها وقالت: «يمكنني أن أتدبر أمري بنفسي!».

فهز روم كتفيه وقال: «حسناً، كما تشائين».

وانطلق فلحقت به وهي تخطو بحذر على لوح خشب متأرجح، تملأ رئتيها بالهواء البارد المالح، وكأنها تقاتل الريح.

لم يجدا إلا مجموعات من الطيور البحرية، وشخصين يدربان كلباً على الشاطىء. وهكذا كان الشاطىء بأكمله لهما.

مشى روم من دون أن يتأثر بقشعريرة البرد، أو الرطوبة المتزايدة في الجو، ووجدت كوري نفسها تبذل جهداً لتواكب خطواته.

أرادت أن تصرخ به، أن تقول له: هذا محيطي وليس محيطك. كيف تجرؤ على أن تشعر بهذا الأمان، فيما أشعر أنا وكأنني غريبة... أو من كوكب آخر...؟

على مقعد خشبي، وجدا بقايا قارب قديم، فتوقف روم عند ذلك المقعد وراح يتأمل حركة ناقلة نفط تشق الموج.

ساد الصمت بينهما لبرهة. لكن كوري تنحنحت فجأة وقالت:

www.elromancia.com

«أعتقد أنني أدين لك باعتذار».

فهز روم رأسه وقال: «لما حصل بيننا؟ الحق علينا كلانا!».

- لم أقصد... العناق.

فكرت كوري بسخرية أنّ هذا تعبير لطيف عما حصل فعلاً بينهما.

سألها روم بلهجة بدت صلبة وقاسية: «ماذا إذن؟».

فقالت: «لأنني انفجرت بالبكاء أمامك، فأنا لا أتصرف هكذا عادة. لكن الصدمة كانت قوية بالنسبة إليّ. بدا لي كل شيء في القرية كما كان في الماضي، فتوقعت أن أجد المنزل كذلك، ينتظرني!».

صمتت كوري قليلاً، ثم هزت رأسها وقالت: «لكنني كنت بلهاء، أليس كذلك؟».

- لا، بل غير واقعية ربما! ولكنني أنا من تسبب بذلك، باصطحابك إلى هنا. لم يكن يجدر بي القيام بذلك، لقد أردت أن أخرج من لندن فحسب، واعتقدت أنك أنت أيضاً تريدين ذلك.

بقي روم ينظر إلى الشفق وهو يقول هذه الكلمات، ولكن بدا من صوته وكأنه يلوم نفسه.

- هذا النهار بأكمله غلطة شنيعة!

قال ذلك، ثم ابتسم ابتسامة قصيرة وسألها: «أليس كذلك؟»

والتفت لينظر إليها، وقال: «لا تكوني ساذجة إلى هذا الحد يا كوري! يجب أن تعترفي بأن الأمور تغيرت بيننا!»

حاولت كوري أن تنظر في عينيه، ولكن تعذّر عليها فهم ما رأته فيهما.

تكلفت ابتسامة وقالت: «ربما أحتاج إلى تغيير».

فقال روم: «ما تقولينه هراء!»

- إذاً، ربما تعبت من كوني حساسة. ولكن إذا لم تكن ترحّب بهذا التغيير، فأنا مستعدة لأن أعتبر وكأن شيئاً لم يحدث.

- أتمنى لو أن الأمور بهذه البساطة!

اتكأت كوري على القارب بعد أن شعرت بالحاجة إلى ما تستند إليه، ثم قالت بصوت أبح: «روم... هل هناك... سبب ما يحول دون بقائنا معاً؟».

أرادت أن تقول شخص ما بدلاً من سبب، لكنها لم تستطع قول ذلك.

أجابها روم بكآبة: «هناك العديد من الأسباب. هل توديّن أن أذكرها لك؟»

فقالت في نفسها بقلق: لا.

قالت ذلك لأن أحد هذه الأسباب قد يكون وجود امرأة أخرى، وأسباب أخرى كثيرة يمكن ألا تتحملها.

انزلق ذاك الشال اللعين مرة أخرى، ففكته ووضعته في جيب سترتها، وقد سرّها أن تخفي يديها اللتين ترتجفان.

قالت بصوتٍ منخفض: «وماذا لو قلت لك إن ما ستقوله لا يهمني؟ وإنني أود أن أنسى الماضي وأعيش الحاضر فقط؟».

وعضت على شفتها قبل أن تتابع: «وأترك المستقبل للوقت».

ساد الصمت لفترة، فشعرت كوري بقلق روم.

قال لها فجأة: «أنت لا تدركين ما تقولينه يا كوري، فأنت تستحقين أكثر من ذلك. أنت تستحقين مستقبلاً جيداً!».

وهز رأسه بقوة وغضب، ثم قال: «يا إلهي... يا لها من ورطة فظيعة!»

شعرت كوري بالدم يسيل من شفتيها وقالت: «إذاً... أنا آسفة. لن أخوض في هذا الحديث مجدداً!».

نظرت إلى البحر الذي بدا أسود كالسماء، ورأت الأمواج تتكسّر على الشاطىء. قالت فجأة: «علينا أن نعود إلى السيارة، فستهب عاصفة بعد قليل».

وصمتت قليلاً ثم أضافت: «وعلى الرغم من كل ما حصل، أشكرك

www.elromancia.com

على هذا النهار. سوف أتذكره دائماً. ولا أظن أنه سيتكرر أبداً، فحين سنعود إلى لندن، سوف يكون علينا أن نقول الوداع».

فقال روم بصوتٍ أجش: «وهل تحسبين ذلك ممكناً؟».

ـ لا، ولكنه ضروري.

راحت قطرات المطر تتساقط بغزارة إلى أن أصبحت وابلاً بللهما، من دون شفقة، في غضون ثوانٍ.

راح روم يتلفظ بالشتائم، ثم قبض على يدها وقال لها: «أركضي!».

كان المطر يتساقط بغزارة والهواء يهب بسرعة فائقة، فبذلا جهدهما كي لا يجرفهما الهواء. وعندما وصلا إلى السيارة، كانا مقطوعي الأنفاس وشبه مبهورين.

دفع روم كوري في مقعدها، ثم صعد إلى السيارة. بقيا يتأملان للحظات المطر يتساقط وقطراته تضرب سقف السيارة. من ثم تناول روم علبة المحارم وأعطاها لكوري قائلاً: «حالياً، هذا أفضل ما يمكنني أن أقدمه لك».

استعملت كوري قسماً منها لتمسح الوحل الذي غطى وجهها ويديها. ولكنها لم تستطع نزع الوحل عن شعرها ولا عن ثيابها.

شعرت بالوحل يغطي حتى رموشها، ولم يكن روم بحال أفضل.

قالت من دون أن تكون متأكدة من كلامها: «ربما من الأفضل أن نسلك طريق السيارات...».

فقال روم وهو يدير المحرك: «ربما! لكن لدي فكرة أفضل».

وسلك الطريق التي سلكاها في طريق الذهاب، لكن روم انعطف بعد ميل ونزل عبر ممر ضيق.

فسألته كوري وهي ترتعش: «إلى أين تذهب؟».

ـ رأيت على الطريق إشارة لفندق، وقررت أن آخذك إلى هناك لنشرب الشاي. وسوف نرى ما بوسعهم أن يفعلوا لنا لتجف ثيابنا.

ـ لكن لا يمكننا أن نقوم بذلك. لن يسمحوا لنا!

ـ لا خيار آخر أمامنا أو أمامهم. إذا بقينا مبتلين حتى نصل إلى لندن، فسنصاب بذات الرئة.

واتجه بالسيارة نحو ممر مظلل بالأشجار.

استطاعت كوري أن تميّز عبر المطر الذي بقي يتساقط على الحاجب الزجاجي للسيارة مبنى كبيراً، تشع الأضواء من نوافذه.

ركن روم السيارة في موقف بجانب الباب الرئيسي، وقال: «انتظري هنا ريثما أرى ما يمكننا فعله».

كانت كوري تتحضر للاحتجاج مرة أخرى، حين توارى روم عن ناظريها، تاركاً إياها تستمع إلى إيقاع قطرات المطر.

وقالت في سرّها إنه حتى ولو فرشوا لها السجاد الأحمر لتنزل، فلن تستطيع القيام بذلك، ولا سيما برفقة روم!

صحيح أن العودة إلى لندن ستكون متعبة جداً، إلا أن ذلك أفضل من أن تمضي المزيد من الوقت برفقة روم. فالبقاء برفقته ولو لبضع ساعات، في فندق ناءٍ، يمكن أن يخلق جواً حميماً، وهي لم تعد مستعدة للمخاطرة.

كانت غارقة في التفكير إلى حد أنها لم تنتبه إلى عودة روم، إلا حين فتح لها باب السيارة.

ـ لقد وافقوا على استضافتنا!

ناولها مظلة متعددة الألوان قبل أن يتابع: «سوف يرشدك البواب إلى الطريق، فيما أبحث أنا عن مكان أركن فيه السيارة. وسأتصرف بنبل وأدعك تأخذين أنت الحمام الساخن أولاً!».

راحت كوري تنظر إليه باستغراب وقالت بصوت أبح: «هل هذا يعني أنك حجزت غرفة؟».

ـ هذا طبيعي، فنحن بحاجة إلى العزلة فيما يتم تجفيف ملابسنا.

فقالت بعد أن تملكها الغضب لسماع ذلك: «لقد انتهى يومنا معاً،

وأعتقد أنني أوضحت لك هذا جيداً! ولن أقبل بأن توافيني إلى غرفة استأجرتها بالساعة!».

ـ بل بالليلة، والأمر يعود لنا! لكن إعلمي أنني لم اصطحبك إلى هنا إلا لأننا نحن الاثنين متسخان ومبتلان. كان هذا ضرورياً للغاية، ولم يكن هدفي ضرباً من ضروب الإثارة.

احمر وجهها من الغيظ وقالت: «لن نستطيع البقاء هنا، لن أبقى هنا. لا مجال لمناقشة ذلك!».

ـ لا تكوني صعبة المراس يا كوري! ما زال المطر يتساقط، وبدأت أبتلّ من جديد.

فقالت بعناد: «أريد أن أعود حالاً إلى لندن!».

ـ سأعيدك إلى هناك، ولكن أولاً عليّ أن آخذ حماماً ساخناً وأتناول بعض الطعام وأنتظر إلى أن تجف ملابسي، ومن ثم ننطلق. لا أعتقد أن ما أقوله غير منطقي!

وصمت قليلاً قبل أن يتابع: «إذا كنت تودين البقاء في السيارة وحدك، والماء يسيل منك، وتمرضين بالتالي، فسأحترم قرارك. لكن في هذه الحال، كوني لطيفة واسمحي لي بأن آخذ بدوري حماماً وأنتظر ريثما يتم تجفيف ملابسي».

وتوقف قليلاً عن الكلام، ثم قال: «هيا، أود لو أحملك. لكن العاملين في الفندق سوف يعتقدون أننا متزوجان!».

رمقت كوري روم بنظرة توعد، ونزلت من السيارة متكلفة مظهر السيدة الوقورة.

وجدت البواب بانتظارها، وكان رجلاً قصير القامة، ومرحاً. قال لها: «مساء الخير سيدتي، وأهلاً بك في فندق هايلساند! يا له من طقس رديء! لقد حجزنا لكم في الغاردن سويت، وهو هنا في الأسفل».

نزلت كوري سلماً مغطى بالسجاد، وفتح البواب أمامها باباً قائلاً لها:

«هذه هي غرفة الجلوس».

ثم انطلق بسرعة وقال: «تقع غرفة النوم الرئيسية خلف هذا الباب، وستجدان قبالتها الحمام. يليه غرفة النوم الثانية التي لن تحتاجاها بالطبع، لكنها جيدة للعائلات!».

لم تستطع كوري أن تقول سوى: «نعم».

ـ هل أشعل المدفأة؟ فالجو الدافىء يجعل هذا المكان أكثر حميمية!

وقبل أن تجيب كوري، أشعل المدفأة، وقال: «إذا نزعتما عنكما ملابسكما، فسوف تأتي مدبرة المنزل وتهتم بتنظيفها. ستجدين في الخزانة ثياباً يمكنك أن ترتديها ريثما يتم تنظيف ثيابك، كما ستجدين الصابون والعطور في الحمام، لتسترخي وتشعري وكأنك في منزلك».

وتوجه نحو الباب، لكنه توقّف فجأة ليقول: «قال لي زوجك إنك قد ترغبين ببعض الشاي. ما عليك إلا أن تضغطي على هذا الزر عندما ترغبين بذلك، وستجدين الشاي حاضراً في غضون ثوانٍ، مع بعض الحطب الذي سأحضره للمدفأة».

فشكرته كوري وشعرت وكأنها وقعت في ورطة حقيقية.

ـ على الرحب والسعة سيدتي!

قال لها ذلك، ثم خرج من الغرفة تاركاً إياها تتخبط في بحر أفكارها وهواجسها.

كانت ردة فعلها الأولى الامتنان لأنهما نزلا في جناح وليس في غرفة مزدوجة. فكرت بأسىً أنها بهذه الطريقة يمكن أن تبقى بعيدة عنه خلال فترة مكوثهما في هذا الفندق.

نظرت كوري من حولها، فوجدت طاولة مستديرة في الزاوية وخزانة كتب مع مجموعة من الكتب الجذابة.

كان ورق جدران بلون البحر، ومزهريات من الورد تنتشر في كل مكان. كما كانت النوافذ الفرنسية الطراز تفضي إلى الحديقة التي تقع خلف

الجناح. ولكنهما لن يخرجا إلى الحديقة، فالمطر يتساقط بغزارة. وفجأة، تذكرت السبب الذي قدمت من أجله إلى هنا.

خلعت حذاءها وخلعت عنها ملابسها، ثم اتجهت إلى الحمام.

ملأت حوض الاستحمام بالمياه الساخنة، وأضافت إليها القليل من زيت الاستحمام، وأدركت أن البواب لم يبالغ في ما قاله لها.

كانت غرفة النوم الرئيسية مؤثثة بمفروشات باللون الأزرق، كذلك كان لون ورق الجدران فيها.

دخلت كوري إلى الغرفة فوضعت فيها الملابس المبللة، ثم تناولت من الخزانة مبذل حمام أصفر اللون، واتجهت نحو الحمام.

أملت لا بل توسلت الله أن تنسى عما قريب هذه الأيام الغريبة. ولكن ليس الآن! وضعت ملابسها المتسخة والمبللة في إحدى حقائب الكتان التي وجدتها في درج، ولكنها قررت أن تغسل بنفسها ملابسها الداخلية وتتركها تجف على جهاز التدفئة.

كان الثوب الذي اختارته لتلبسه بعد الاستحمام قصيراً، فشعرت بالخزي والخجل لأنها ستلبسه أمام روم، وفكرت في أنها بحاجة إلى أكثر من طبقة من القماش.

أخذت ثوباً ثانياً إلى غرفة الجلوس فوضعته على الصوفا، مع حقيبة الكتان التي وضعت فيها ملابسها.

ثم اتجهت إلى الحمام لتستحم، وأقفلت بابه جيداً. انزلقت في المغطس وكأنها حورية بحر، وراحت تضع الماء على باقي جسدها الذي لم يصل الماء إليه.

واكتشفت كوري أنها لم تهتم يوماً بجسدها، كما أدركت أنها لم تشعر يوماً بمشاعر تجتاحها، كتلك التي خالجتها نحو روم.

حتى روب الذي اعتقدت يوماً أنها تحبه، لم يكن قادراً على إيقاظ تلك المشاعر الفظيعة التي أيقظها فيها روم! وعضت على شفتها، وتمنت لو أن

الأمور بينهما تسلك منحًى آخر.

لكن هذه المشاعر خفت فجأة، حين تذكرت كوري أنه ما زال هناك العديد من الأسئلة التي لم يُجب عليها بعد.

شعرت بالقلق لعدم معرفتها إلا القليل القليل عنه، وأزعجها أنها كادت تتورط مع رجل ما زال غريباً بالنسبة إليها. رجل قد يعود في ليلة ما، أو في يوم ما، إلى حياته الخاصة، تاركاً إياها تذوق اللوعة.

فكرت كوري بأن الخطوة الحكيمة التي يجدر بها اتخاذها هي أن ترجع بنفسها خطوة إلى الخلف، قبل أن يصيبها مكروه ما.

وترجّع في أذنيها صدى كلمات إحدى الراهبات التي كانت تقول دائماً لتلميذاتها: «تجنبوا لعبة القدر!» والأخت بنيديكت كانت من دون شك تشير إلى هذا النوع من الأحداث.

عرفت أن الصواب هو ألا تراه مجدداً، حتى ولو كان ذلك سيؤثر عليها كثيراً.

ولكنها لن تبقى وحيدة في المنزل. سوف تخرج كما قال لها جدها، وتقابل أشخاصاً آخرين. وعاجلاً أم آجلاً، سوف تتعرف على شخص يملأ ذاك الفراغ العميق الذي ستشعر به.

المسألة مسألة وقت فقط.

وضعت الشامبو على شعرها وغسلته جيداً، وأخذت حماماً ساخناً طالت مدته. وبعد أن أنهت حمامها، راحت تغسل ملابسها الداخلية، ثم نظرت إلى نفسها في المرآة مطولاً، ورفعت خصل الشعر الرطبة التي تدلت على وجهها.

راحت تفكر بالساعات المقبلة التي ستقضيها برفقة رجل لا تعرفه جيداً، وفي جناح واحد. ولكن عليها أن تتحمل ذلك، وتواجه ذلك الرجل بقوة أكان ملاكاً أو شيطاناً.

عليها أن تقوم بذلك الآن!

أخذت كوري نفساً عميقاً، ثم فتحت باب الحمام وخرجت منه إلى غرفة الجلوس.

كان روم هناك، ينظر من خلال إحدى النوافذ إلى الظلام الذي بدأ يخيم على المكان. كان يرتدي مبذلاً هو أيضاً، يبرز قوة عضلاته وبنيته الرياضية.

استدار ببطء ونظر إليها، وقد بدا الحذر على ملامحه. حافظت على رباطة جأشها بعد أن قررت أن تتصرف بشكل طبيعي، كما لو لم تكن هناك أيّ مشكلة.

قالت: «أنا آسفة لأنني تأخرت كثيراً في الحمام».

صمتت قليلاً ثم تابعت تقول بخجل: «هذا المكان رائع حقاً. المدفأة والشاي عند الطلب».

فضحك روم وقال: «امنحيني عشر دقائق فقط، من ثم اطلبي الشاي! ستكون ملابسنا جاهزة بعد ساعتين، لذا طلبت أن يحضر العشاء إلى هنا».

تفاجأت كوري لما قاله روم وظهر ذلك جلياً على وجهها.

- يجدر بنا أن نلبس لباساً رسمياً لدخول المطعم، ونحن لا نملك حالياً إلا هذه الثياب!

فقالت كوري: «أملت أن نكون في طريقنا إلى لندن، قبل أن يحين موعد العشاء».

- كم أنت متلهفة إلى الذهاب. هل لديك موعد ما؟

فأجابت كوري من دون أن تنظر إليه: «لا، في الواقع أريد أن أعاود حياتي الطبيعية».

فقال بنعومة: «آه نعم، طبعاً!».

وسار متجهاً نحو الحمام، لكنه حين غدا على مقربة منها، توقف قائلاً: «رائحتك جميلة جداً! إنها تشبه رائحة الورود النادرة».

حاولت أن تتمالك أعصابها وقالت: «شكراً لك!» وبقيت في مكانها إلى أن سمعت صوت باب الحمام يُقفل، فعرفت أنها باتت وحدها في الغرفة.

عندئذ، اتجهت إلى الأريكة فجلست عليها تتدفأ أمام المدفأة. وراحت تراقب قطع الحطب تحترق، فعرفت أن هذا قد يحصل معها أيضاً.

قالت: «يا إلهي، عليّ أن أكون حذرة!».

ولكنها وجدت نفسها تتساءل إذا لم يكن الأوان قد فات.

* * *

www.elromancia.com

٨ ـ كفّي عن الادعاء

استعمل روم آلة الحلاقة الوحيدة المتوفرة، ثم رماها في سلة المهملات وغسل وجهه. فيما هو يتناول المنشفة المعلقة فوق الحوض، نظر إلى نفسه في المرآة، فرأى الكآبة في عينيه من جراء تأنيب الضمير.

راح يفكر بأن اللوم لا يقع عليه وحده في كل ذلك، فهو ليس مسؤولاً عن الطقس الذي دفعهما للمجيء إلى هنا.

ومع أنه شعر بالحاجة للخروج من لندن والتخلص من سلطة جده، إلاّ أنّه لم يخطط إلى أن يصحب كوري معه.

سأله جده أول مرة على الهاتف: «ما الّذي يحصل بينك وبين الفتاة؟ لِمَ لا تقابلها؟».

فأجفل روم لسماع ذلك، وسأل جده ببرودة: «هل تراقبني؟»

أجابه الجد بصوتٍ عالٍ: «هذا الأمر يعنيني. لقد استثمرت فيك، وعلي أن أحمي استثماراتي!».

وتوقف ماثيو قليلاً قبل أن يتابع: «لقد دعوتها إلى العشاء، وهذا جيد. ولكن لما لم تتبع ذلك بخطوة أخرى؟».

ـ لأنني أردتها أن تطلب ذلك بنفسها، أردتها أن تشتاق إليّ!

ـ تشتاق إليك أو تنساك؟ إذا استمريت بالتصرف على هذا النحو، فقد تخسر كل ما توصلت إليه!

ـ كان يجدر بك أن تطلب ذلك من الفرس التي استأجرتها، فهي سهلة

الانقياد أكثر مني. أما في ما يخصني، فأنا أقوم بذلك على طريقتي. ألم يكن هذا اتفاقنا؟

ـ إذاً قم به بشكل أسرع، فهذا التأخير يكلفني الكثير. عليك أن تحرز تقدماً أكبر في عطلة نهاية الأسبوع هذه، وإلا سوف أتصل بك من جديد!

وضع روم سماعة الهاتف بعصبية، وتجهم وجهه. شعر برغبة شديدة في أن يقول لجده بأن يذهب إلى الجحيم.

لكنه لم يقم بذلك.

لم يكن ينوي الإتصال بكوري حتى منتصف الأسبوع التالي. أرادها أن ترتبك وتشعر بالحيرة.

تناول الملف الكريه وألقى نظرة سريعة إليه، متسائلاً أين تكون وماذا تراها تفعل في هذه الأثناء. لفتت نظره هواية من هواياتها، وهي ارتياد المتحف الوطني. دوّن أمامه أنه مكان تفضّل كوري التردد إليه لا سيما في عطلة نهاية الأسبوع، ففكر أنها من دون شك اختارت الذهاب إليه إذا كانت كما يظن...

وعندما وجدها فعلاً هناك، كاد يعجب بنفسه لأنه أصاب في ما توقعه حول المكان الّذي قد تقصده، والمزاج الذي قد تكون عليه. لكنه بدلاً من أن يشعر بالراحة، أحس وكأنه تلقّى ضربة قوية في أحشائه. وبقي يتكىء على باب في المتحف، يحاول التقاط أنفاسه.

لم يقترب منها، بل بقي يراقبها من بعيد. ولم تنتبه إليه، لذا كان من السهل عليه أن يتراجع في أي لحظة. ولكنه وجد نفسه يتجه نحوها، كما لو أن قوة دفينة دفعته للقيام بذلك.

لم يكن ينوي أن يقوم بالرحلة إلى سوفولك، بل كانت مجرد فكرة طارئة، وقرر أن يحتفظ بها لوقت آخر.

لكن ما الّذي دفعه فجأة لطرح ذاك الاقتراح، فأخرجها بسرعة من المتحف إلى سيارته، كما لو أنها ستفلت فجأة من بين أصابعه، وتختفي؟

هز روم رأسه بغضب.

أدرك أنه تصرف بجنون، وكانت هذه النتيجة.

وزاد الطين بلة أنه عانقها في سوفولك عناقاً لم يخطط له من قبل، كما خطط لذاك العناق في المطعم على مرأى من الجميع، بهدف إزعاجها. أراد بعناق المطعم ذاك أن يثبت لها أن دفاعها لم يكن منيعاً.

لا، كان الدافع أهم من ذلك. أراد روم أن يشعر بهذه المرأة بين ذراعيه. لكنه لم يتوقع أن تسري تلك الرعشة في جسدها.

لم يستطع أن يعرف كيف تحلّى بتلك القوة ليبتعد عنها. ربما ذكرته بعض قواعد اللياقة أن الأمر هو قرار يتخذه بنفسه، وأنه يجب أن يكون قراراً نابعاً من أعماقه لأن كوري لا تستحق أن يتلاعب بها!

أطلق روم زفرة غضب، لأنه سمع في داخله صوتاً يصرخ به قائلاً إنها الفرصة المناسبة لينفذ ما وعد به جده.

فكر روم أنه سيحاول في الغد أن يقنع كوري بأن تصبح زوجته. وهكذا، سوف يتخلص من وعده لجده.

كان هذا ما يريده، كل ما يريده.

وضع المنشفة مكانها، وعقد رباط مبذله جيداً، وفكر بأن كل ما عليه أن يقوم به الآن هو أن يباشر بما فكر فيه.

نظر إلى نفسه مجدداً في المرآة، لكن كل ما استطاع رؤيته هذه المرة هو الحيرة. راح روم يطلق الشتائم وهو يطفىء النور، ثم خرج من الحمام متجهاً إلى غرفة الجلوس.

وجد كوري تجلس على زاوية من الصوفا، وبين يديها مجلة تقرأها بتركيز كبير. ورأى أمامها على الطاولة صينية عليها فنجان وإبريق شاي ساخن.

توقّف، وقال بنعومة: «يا له من جو عائلي حميم!».

فنظرت إليه كوري وقد توردت وجنتاها بفعل الحرارة، وقالت: «ما عدا أنني لا أعلم إذا كنت تشرب الشاي مع الحليب والسكر».

جلس روم على الأريكة المقابلة وراح يبتسم لها ثم قال: «أشربه مع الحليب فقط. لكنني أفضل القهوة سادة!».

وتوقف قليلاً عن الكلام قبل أن يتابع قائلاً: «هل تعتقدين أنك ستتذكرين ذلك حين نطلب القهوة؟».

راحت كوري تسكب الحليب في فنجان روم، وقالت: «يمكنني أن أتذكر اليوم فقط!».

وبعد أن سكبت له الشاي، وضعت الفنجان في مكان على الطاولة يستطيع روم الوصول إليه، ثم سكبت فنجاناً آخر لنفسها وعادت إلى قراءة المجلة.

بدت الغرفة هادئة، ما عدا صوت المطر الذي كان يهطل بغزارة، وصوت الحطب الذي أخذ يطقطق في المدفأة. جف شعرها بفعل الحرارة، فانسدل كالحرير على كتفيها.

نزلت خصلة من شعرها على وجهها، فأزاحتها سريعاً وهي تدرك أنه يراقب كل تحركاتها بتركيز، كما تركز هي على قراءة المجلة.

قال لها روم فجأة: «لم أكن أعلم أنك تمارسين رياضة الغولف!».

- ولكنني لا أمارس هذه الرياضة!

- إذاً لِمَ تقرئين مجلة تتكلم عن هذه الرياضة؟

تلعثمت كوري وحاولت أن تختلق أي عذر، فقالت: «أفكر في ممارستها».

فقال روم بتكاسل: «إذاً جئنا إلى بيت القصيد. لكي تمارسي لعبة الغولف، عليك أن تتحلي ببنية رياضية قوية وأن تكوني قادرة على ممارستها يومياً و...».

رأت كوري شفتي روم تتحركان، من دون أن تسمع كلمة واحدة مما كان يقوله. راحت تفكر بتلك المجلة التي أرادت استعمالها كحاجز، لتوهم روم بأنها تقرأها بتمعّن بينما تتجاذبها أفكار حول ما جرى وما قد

www.elromancia.com

يجري بينهما. وأخيراً، وضعت المجلة جانباً، ثم قالت: «متى تعتقد أن ملابسنا سوف تجف؟».

هز روم كتفيه استهجاناً وقال: «ولمَ العجلة؟».

ثم ضحك وراح ينظر إلى باقة ثوبها المفتوحة، وقال: «يعجبني مظهرك بهذه الثياب».

فعضت كوري شفتيها وجاهدت كيلا تنفذ رغبة اعترتها بشد رباط الثوب أكثر، وقالت: «أما أنا فلا! أفضل أن أرتدي ملابسي التي جئت بها، وأخرج من هنا!».

فقال لها روم ينصحها: «مهلك، مهلك! أعتقد أن هذا الفندق يتباهى بخدمته السريعة. لذا ما إن تجف الثياب، حتى يحضروها إلينا؟»

راحت كوري تتأمل روم للحظات مقطبة الجبين، ثم قالت: «هذا غريب، فأنت أحياناً لا تبدو إيطالياً على الإطلاق!»

- وما الغريب في الأمر؟ ولدت هناك بالصدفة، وأشك في أن أحمل في عروقي أي دم إيطالي حقيقي.

فقالت كوري: «ولكن لا بد أن والدتك...».

- كانت أمي إنكليزية، وقد تشاجرت مع عائلتها، ففرت إلى أوروبا. وصادف أنها كانت في روما حين ولدتني. هذا كل ما في الأمر!

بدت الدهشة على كوري. فقال لها روم بلهجة ساخرة: «هل خاب أملك يا عزيزتي، حين عرفت أنني لا أتحدر من عائلة ديل سارتو العريقة؟»

توردت وجنتا كوري من الغضب وقالت: «لا تكن سخيفاً، وكف عن مناداتي بعزيزتي!».

- إذاً، ماذا أدعوك؟ حياتي، حبي، عمري؟

فقالت من دون أن تنظر إليه: «لا، شكراً».

فأجابها روم بنعومة: «أنت تصعبين عليّ الأمور! الإيطالية لغة رائعة للحب!».

- ما تقوله كلام في كلام، فأنت لست إيطالياً!

ساد صمت قصير بينهما، قبل أن يقول روم مجدداً: «وهل يهم أنني لست إيطالياً؟».

- لا، لا يهم أبداً! ما عدا أنّ...

- ماذا؟ قولي، أنا أسمعك.

شدّت كوري حزام ثوبها، وقالت: «ما عدا أنه يبدو أنني لن أعرفك أبداً على حقيقتك، أو أعرف ماذا تريد».

قالت كوري ذلك، وانتظرت جواباً منه، لكنها لم ترَ على وجهه إلا التردد.

بدا وكأن غشاوة تغطي عيني روم، فقال: «حالياً، أجد أن تناول الطعام هو من الأولويات. هل ألقيت نظرة على قائمة الطعام؟».

فقالت كوري بخيبة أمل: «نعم».

كلما ظنّت أنها ستعرف المزيد عنه، يتذرع بأي شيء ليغير مجرى الحديث. ولكن لماذا؟

تنحنحت كوري وقالت: «أفكر بطلب فطيرة باللحم».

- هذا ما كنت أفكر بطلبه، وبما أننا نتمتع بالذوق نفسه، فأرجو أن تكفي عن التساؤل بشأني والقلق!

قال روم ذلك ونهض من مكانه، فراحت كوري تراقبه وهو يتصل بمطعم الفندق ليطلب العشاء، وكله ثقة بأن ما يطلبه ليس بهذه الصعوبة.

شيء ما في داخلها يحدثها بأن ما قد تعرفه عنه سيكون خطيراً، وأنه من الأفضل أحياناً ألا تعطي المرأة الثقة التامة للشخص الآخر...

قال لها روم: «حدثيني عن جدتك!».

كانا قد أنهيا العشاء، وطلبا القهوة. كان الطعام لذيذاً، وأكلت كوري بشهية كبيرة، ولم تترك أي شيء في طبقها. وبعد دقائق، جلست قرب المدفأة.

www.elromancia.com

كانت كوري تفضّل لو يبقيا على طاولة الطعام، لتبقى الأمور بينهما أكثر رسمية وبعيداً عن الحميمية.

جفت ملابسها الداخلية بسرعة، بعد أن وضعتها على جهاز التدفئة الموجود في غرفة النوم، فارتدتها كوري تحت ثوبها.

ولكنها لم تشعر بالراحة التامة، لأنها لم تحصل على ملابسها بعد.

خلال تناول العشاء، كانت تختلس النظر إلى ساعتها فأدركت أن الوقت يمر بسرعة. وفكرت بأنهما إذا لم يغادرا الفندق عما قريب، فسيفوت الأوان....

لكنها عادت ووبخت نفسها لأنها كثيرة التوهم، فما من داع لتشعر بأنها مهددة. لقد كان روم بغاية اللباقة أثناء العشاء. حدّثها في شتى المواضيع ليرى رأيها في أمور معينة، وناقشها ببعض الأمور التي كانا يملكان حولها وجهات نظر مختلفة.

دار الحديث بينهما بعيداً عن كل ما هو شخصي. لكن سؤال روم الآن حوّل مجرى الحديث من جديد إلى الأمور الشخصية.

قالت له كوري: «جدتي؟ لمَ تسألني عنها؟».

ـ لأنكما كنتما مقربتين جداً من بعضكما البعض، ويهمني أن أعرف عنها! هل يزعجك الكلام عن هذا الموضوع؟

ارتسمت على شفتي كوري ابتسامة ناعمة، وقالت: «لا أبداً! كانت جدتي شخصاً محبوباً، لطيفاً... ناعماً وهادئاً. كانت وجدي يحبان بعضهما البعض كثيراً. قالت لي مرة إن ما جمعهما هو الحب من النظرة الأولى، مع أنهما حين التقيا كانت مخطوبة لشخص آخر».

ـ شخص لا بد أنه كان يجدها لطيفة ومحبة كذلك، وكانت خسارتها أمراً صعباً لم يستطع تحمله.

ـ نعم، لكن جدتي أدركت أن ذاك الرجل لا يصلح لها كزوج، قبل أن تقابل جدي، وكانت ستعرب له عن رغبتها في فسخ الخطوبة، حتى ولو لم

يظهر جدي!

ـ ماذا عنك أنت؟ هل تؤمنين بالحب من النظرة الأولى؟

رشفت كوري رشفة من فنجانها وقالت: «أعتقد أنه لا بد من وجود انجذاب حقيقي في بداية كل علاقة. لكنني في المجمل اعتقد أن الحب يجب أن يبنى على الثقة، الصداقة والاحترام».

ـ كم هي واقعية نظرتك للحب! وماذا عن الرغبة، والشغف اللذين يشعر المرء معهما أن حياته تغيرت بكاملها؟ ألا يعني لك كل ذلك شيئاً؟

وصمت قليلاً قبل أن يتابع: «أم أن هذا يخيفك؟».

فكرت كوري في أنّ هذا ما أرعبها في البداية.

وضع روم يده على يد كوري، فتمنت لو أنه لم يفعل ذلك.

بدا الجو في الغرفة وكأنه مشحون بالكهرباء، فقد ارتفعت الحرارة في الغرفة بفعل الحطب الذي يطقطق في المدفأة، وشعرت بأنها لم تعد تحتمل حتى الثياب التي ترتديها.

فجأة، قالت بحماس: «لست خائفة!»

وراحت تتساءل من الذي تحاول إقناعه.

ـ إذاً لمَ لا تنظرين إلي؟

حاولت كوري أن ترفع رأسها بطريقة ما، وتنظر مباشرة في عينيه.

كان فمه يبتسم، فتذكرت ما شعرت به حين عانقها. وكانت عيناه تنظران إليها برقة.

لم يدع إصبعاً منه يلمسها، ولكنها شعرت بأنه لو قام بذلك، لذابت سريعاً بين يديه.

ولم تكن لديها أي دفاعات في الواقع. فعذريتها وعذرية مشاعرها وأحاسيسها لم تمس، وكانت تعي ذلك تماماً، كما كان روم متأكداً من ذلك.

قالت له بصوت أبح: «لا تفعل...».

ـ ولمَ لا؟

elromancia.com

راحت تتضارب في رأسها المبادىء التي تعلمتها حول الأخلاق، والاحترام.

لكن الباب قرع فجأة، وسمعت همهمة. من ثم رأت روم يتناول الملابس من البواب ويشكره. كانت الملابس نظيفة ومكوية ومغلفة بأكياس من النايلون، فوضعها روم على حافة الأريكة.

أطلقت كوري تنهيدة، وأراد جزء منها أن يضحك لخروجها من هذا الوضع الحميم الذي كان على وشك أن يحرجها، فيما أراد جزء آخر أن يبكي...

سمعت صوتاً يشبه صوتها يشكر البواب، ويطلب منه أن يأخذ القهوة.

- بالطبع سيدتي، نحن في الخدمة. هل من شيء آخر تودان أن أحضره لكما، أنت وزوجك؟

فسمعت روم يجيب: «لا، شكراً لك! لدينا كل ما نحتاج إليه، عمت مساءً!».

ووجدت كوري نفسها تردد الكلام نفسه الذي قاله روم: «لدينا كل ما نحتاجه!»

عندما خرج البواب أخيراً، واتجه روم نحوها، بدأت كوري تهذي.

- يظنون أننا متزوجان، مع أنني لا أضع خاتماً في يدي!

وراحت تريه أصابعها الخالية من أي خاتم يشير إلى التزام، وقالت: «أليس هذا غريباً؟».

قال روم بصوتٍ هادىء: «لا بل مضحك!».

- لقد كنت محقاً! إنهم ماهرون حقاً في تنظيف الملابس وكيّها. تبدو الملابس وكأنها جديدة، وأعتقد أننا إذا أسرعنا وارتديناها، فقد نصل إلى لندن قبيل منتصف الليل!

كانت تلهث وهي تتفوه بهذه الكلمات، ويداها ترتعشان، فأمسك روم بهما، وقال بنعومة: «لن نذهب إلى أي مكان الليلة، يا كوري! أنت تعرفين

ذلك، كما أعرفه أنا، فلنكف إذاً عن الإدعاء».

سمعت كوري نفسها تقول بصوتٍ عرفته بالكاد: «نعم».

راحت أصابعه الطويلة تنتقل على وجنتيها ثم اقترب منها وضمها إليه بقوة معانقاً فراحت تبادله عناقه وقلبها يذوب بين أضلعها.

كانت الغرفة دافئة، لكن كوري شعرت فجأة بالبرد، فابتعدت عن روم. لكنه وضع يديه حولها من جديد، وشدها إليه.

وراح يعانقها مما جعل نبضات قلبها تتسارع بشدة. راحت ترتجف كالعصفور الخائف بين يديه.

وتنهدت ثم قالت: «لا بد أنك تظن أنني معتوهة».

قال: «لا تحاولي أن تقرأي أفكاري!».

- وهل تمانع في ذلك؟

فقال بهدوء: «لا أمانع أبداً ولكن ما لا أفهمه هو أنه حتى ولو كان ما تدعينه صحيح، لماذا أنت خائفة مني؟».

دفنت كوري وجهها في كتفه وقالت بصوت ضعيف: «لأنني بصراحة عديمة الجدوى، إنسانة غريبة الأطوار. أعتقد أنك أدركت ذلك!».

أجفل روم لسماع ذلك، فأمسكها من ذقنها، مجبراً إياها على النظر إليه، وقال لها بلهجة قاسية: «ما هذا الهراء الذي تتفوهين به؟ لا أريد أن أسمعك أبداً تتكلمين هكذا!».

- حتى ولو كانت هذه الحقيقة؟

فهز روم رأسه وقال: «لا أصدق ما تقولينه يا كوري! لقد شعرت حين عانقتك، بجسدك حياً بين يدي».

فقالت بصعوبة: «لا أنت واهم... أنا كتلة جليد».

ساد صمت لم ينبس أي منهما خلاله بكلمة، ولكن روم قطع فجأة ذلك الصمت قائلاً: «من هو يا كوري؟ من هو الرجل الذي جعلك تعتقدين كل هذا؟ لا بد أن هناك شخص ما جعلك تعتقدين كل هذه الأشياء، وأنا

بحاجة لمعرفة ذلك!»

شعر بها ترتعش من جديد، وقالت: «أرجوك، لا أود أن أتكلم بهذا الموضوع!».

قال لها: «لكن يجب أن تتخلصي من كل هذه الأمور يا عزيزتي، قبل أن تدمر حياتك. يجب أن تخبريني...».

سكتت كوري لبرهة، ثم قالت: «كنا على وشك الزواج. كان يدعى روب ويعمل كموظف في مصرف تجاري في المدينة. كانت شقيقته رفيقتي أيام الدراسة. لم تكن من صديقاتي المقربات، لكنني التقيت بها مرتين في لندن. بعدها، أصبحنا صديقتين حميمتين، ودعتني إلى حفل عيد ميلادها».

ـ فالتقيته هناك؟

ـ نعم. أمضى الكثير من الوقت معي. لم أكن أجيد الرقص، فجلسنا على شرفة منزلهما نتحدث. وأدركت أننا نتشارك الذوق نفسه، ولكنني أدركت في ما بعد أن ستيفاني لا بد أخبرته بكل ما أحب وأكره. اتصل بي في اليوم التالي، ودعاني إلى العشاء. أمضينا معاً شهرين مسليين للغاية.

وصمتت كوري قليلاً، قبل أن تتابع: «ذهبنا إلى العديد من الأمكنة معاً، ومن ثم سألني إذا كنت أقبل بالزواج به».

سكتت مجدداً، فأمسك روم بيديها وقال لها بتهذيب: «هيا أكملي!».

ـ مع أننا أمضينا معاً الكثير من الوقت، إلاّ أننا لم نكن حبيبين. لقد حاول، لكنني... أردت التريث حتى يوم الزفاف. ثم حدث يوماً أن جئت إلى المنزل وبما أنني كنت أملك مفتاحاً لشقته، فتحت الباب ودخلت. لم يشعر بدخولي إذ كان يتحدث إلى أحدهم هاتفياً. كان يهاتف صديقه ويضحكان. سمعته يقول إنني أشبه بكابوس، وإنني امرأة بلا عواطف، وإنه سيغمض عينيه حين يعانقني، ويفكر فقط بذاك المال الذي أملكه.

توقفت كوري عن الكلام قليلاً ونظرت إلى روم، فوجدت التوتر بادياً

عليه، وكأنه تذكر فكرة ما أزعجته. تابعت تقول: «للحظة، حاولت أن أقنع نفسي بأنه لم يكن يتكلم عني. لم أستطع أن أصدق أنه شرير إلى هذا الحد».

ـ ولكنه كان يكذب عليك، ويستغلك!

قال روم ذلك بصوت أجش، ثم أضاف: «ليس هناك ما يجعلك تحزنين على كل ذلك يا كوري! كان ذاك الشخص وغداً!».

ـ أدركت للمرة الأولى، أنه لم يكترث لأمري يوماً، وأن كل ما قام به كان مجرد تمثيلية ليتقرب مني ويتنعم بأموال عائلتي، لذا غادرت ذلك المكان. لم أستطع النظر في عينيه، وقلت له أن يعتبر كل شيء انتهى في ما بيننا، وأنني لا أريد أن أراه مجدداً.

راحت كوري ترتجف وهي تتابع: «... فاستاء كثيراً، وبدأ يصرخ في وجهي، ويقول إني كنت أسخر منه ومن نفسي. وراح يقول لي إنه لن يرغب بي أحد مجدداً، مهما كنت أملك من المال. كنت أسمعه يقول ذلك وأنا أنزل السلم، فأرى الجيران يفتحون أبوابهم وينظرون إلي بنظرات جعلتني أتمنى لو تنشق الأرض وتبتلعني».

صمتت كوري قليلاً، قبل أن تضيف: «وهكذا تم إلغاء الزفاف، وقلت لجدي إنني غيّرت رأيي. ولكنني لم أقل له السبب الحقيقي، لم... لم أستطع. لم أخبر أحداً عن السبب حتى اليوم. الكل بمن فيهم صديقتي المقرّبة، اعتقد أن الخطوبة فسخت بسبب الخيانة. فتركتهم يعتقدون ذلك، لأنني وجدت أن ذلك أقل إيلاماً من السبب الحقيقي».

ساد صمت بعدئذٍ بين روم وكوري قطعه روم فجأة حين نهض من مكانه وتناول مبذله وسأل كوري: «سأطلب شراباً. هل ترغبين بشراب؟».

فهزت كوري رأسها وقالت: «لا، شكراً لك!».

وفي داخلها راحت ترجوه، لا بل تتوسله ألا يتركها. ولكنها عرفت أن

ذلك سيحدث عاجلاً أم أجلاً. وسيترك روم في قلبها فراغاً أكبر بكثير من ذاك الذي تركه خلّفه روب.

برحيله عنها، سوف يحكم عليها روم بأن تعيش كل حياتها على ذكراه!

***

٩ ـ من يكسب الرهان؟

أقفل روم باب غرفة النوم خلفه بعد أن خرج، واتكأ عليه وراح يلهث وكأنه كان يشارك في سباق طويل.

عندما قال إنه يرغب بشراب كان يبحث عن عذر لأنه أراد أن يخلو بنفسه و... يفكر بما سمعه للتو، وإذا استطاع...

اتجه روم نحو إحدى النوافذ الفرنسية الطراز، ففتحها وجعل الهواء البارد يدخل إلى رئتيه. شعر بالغثيان وبألم في معدته، وبنوع من الدوار جرّاء الخزي الذي انتابه لسماع ما قالته كوري.

وفكّر بأن التصرف العاقل الذي عليه أن يقدم عليه، هو أن يرتدي ملابسه ويصحب كوري إلى لندن قبل أن يسبب لها المزيد من الألم.

قد يؤذيها هذا التصرف، ولكنه من دون شك سيسبب لها أذى أقل من بقائهما معاً.

فيما كان روم يستمع إلى ما روته له كوري، تملكته رغبة قوية بأن يبحث عن روب ذاك، ويلقنه درساً لا ينساه طيلة حياته. ولكنه أدرك فجأة أنه ليس أفضل منه. ألم يكن هو أيضاً يخدع كوري من أجل المال؟

راح يتلفظ بالشتائم وهو ينظر إلى الغيوم التي تتحرك بسرعة في السماء. شعر أنه غرق في الفخ الذي نصبه له جده، ولن يمكنه الإفلات.

مهما سيفعل، ستكون النتيجة النهائية نفسها.

سوف يخسرها!

www.elromancia.com

لم يعد روم قادراً على أن يتذكّر متى بانت كوري بهذه الأهمية بالنسبة إليه، ولما غدت بهذه الأهمية.

كل ما عرفه هو أنه ذهب ليراها هذا الصباح في المتحف، لأنه لم يعد يطيق البقاء بعيداً عنها. لقد تعلق بها إلى درجة أنه أدرك أنه بحاجة إلى أن يبقى بقربها، مهما كلف الأمر.

لم يحظ حتى بالفرصة ليقاوم تلك الرغبة، بعد أن اتصل به جده.

لكن ما من مستقبل لعلاقتهما معاً، وعليه أن يواجه هذه الحقيقة المرة.

فكر روم أنه إذا أخبرها الحقيقة، فقد تشمئز منه وتهجره كما فعلت بروب. وحتى لو حصلت معجزة ما واستطاع إقناعها بأنه يحبها حقاً وجعلها تثق به من جديد، لن يكون لديه ما يقدمه لها، لأنه سيخسر حينها منزله وكل ما يملك، ويبدأ ببناء كل شيء من جديد. ولن يستطيع أن يطلب من أي امرأة أن تشاركه هذا العذاب.

أما إذا تابع تطبيق خطة جده، وترك الأمور تسير كما خطط لها، فقد ينتهي بينهما الأمر إلى الخيانة والكره. ولكن ليس إلى أكثر من ذلك، لأنه سيكره نفسه كثيراً عندها.

مشى روم خطوة نحو الخلف وأقفل زجاج النافذة ثم فتح خزانة وأخرج منها زجاجة مياه معدنية وكأسين وعاد بها إلى غرفة النوم.

لم تتحرك كوري من مكانها، كانت تغمض عينيها لكن روم عرف أنها ليست نائمة، وأنها تبكي. رأى ذلك على وجهها، فنسي كل ما فكر فيه حول المضي في خطة جده، وشعر بنبضات قلبه تتسارع.

اقترب منها ثم ضمها إليه مواسياً. وقال لها: «لا تبكي».

ابتعدت عنه وقالت: «أنا لا أريد شفقتك».

أمسك روم بيدها فرفعها إلى شفتيه وقال: «لقد سلبت عقلي. وإذا كنت تعتقدين أنني أشفق عليك، فأنا أقول لك إني لست شخصاً عطوفاً شغوفاً، لا يفكر إلا في مصلحة الغير».

فقالت له كوري من دون أن تنظر إليه: «وهل كنت ستضمني بهذه الرقة لو لم أخبرك عن روب؟».

ـ لم تخبريني عن روب حين مشينا معاً من مطعم آلساندرو حتى منزلك... ومع ذلك، بالكاد استطعت أن أبقي يديّ بعيدتين عنك!

بدا من صوته أنه كان يفكر جيداً بكل كلمة وهو يقول: «تذكري أيضاً منزل بلوندام بعد ظهر هذا اليوم! لقد تعانقنا أيضاً وكدنا نتهور. عليك أن تتخلصي من أنكارك هذه، لم يعد روب موجوداً بالنسبة إليك، لقد انتهى، هل تفهمين؟».

داعب روم أنفها بأنامله، وسألها: «هل أنت جائعة؟».

فضحكت كوري وقالت: «هل تغير الموضوع؟».

ـ ليس تماماً، ولكنني لم أعد قادراً على البقاء بعيداً عنك، وعما قريب لن أكتفي بالنظر إليك والكلام معك. أسألك للمرة الثانية، هل أنت جائعة؟

فاكتشفت كوري أنها كانت جائعة فعلاً.

طلب روم سندويشات السلمون المدخن والعصير، فأكلا وشربا وجلست كوري معه سعيدة مسرورة. ولكن فكرة أخرى راودتها بعد ذلك، فتجهم وجهها فجأة. راحت تفكر بحياتها بعد أن يفترقا، وكيف ستستطيع العيش من دونه؟

قال لها روم، بعد أن لاحظ سكوتها المفاجىء: «أنت هادئة جداً!».

فحاولت كوري أن تنبذ الفكرة التي راودتها للتو، ونغّصت عليها سعادتها، وأجابته: «لا، ليس بي شيء...».

ولكن عقلها راح يضج بالأسئلة وأمرها بالابتعاد عن هذا الرجل لأنها معرضة للسقوط في شر الاستسلام له وعندها من يخلصها من مشاعرها... وكيف ستستطيع الافتراق عنه؟

وعندما بدأ الفجر بالبزوغ نهضت كوري من سريرها وخرجت من

www.elromancia.com

غرفتها مارة بغرفته متوجهة إلى الحمام.

نظرت إليه قبل أن تدخل إلى الحمام، فوجدت أنه ما زال نائماً.

لم تجد البواب حين نزلت إلى الفندق، لكنها وجدت فتاة لطيفة عند مكتب الاستقبال أرشدتها إلى أقرب محطة قطار لتصل إلى لندن، وطلبت لها سيارة أجرة تقلها إلى المحطة.

قالت لها كوري قبل أن تغادر: «ما من داع لإزعاج زوجي، فهو ينوي أن يمضي النهار هنا. ولكنني لسوء الحظ، يجب أن أذهب».

ـ آه، يا لحظنا السيء، فالطقس يبدو جميلاً اليوم! على كل حال، آمل أن تعاودي زيارتك لهذا الفندق!

فابتسمت كوري وقالت: «نعم، ربما في يوم ما!».

ولكنها كانت تعلم في قرارة نفسها أنها لن تعود إليه مجدداً، فلا شك أنها ستشعر بالألم والعذاب إذا ما عادت من دون روم.

كل ما عليها فعله الآن هو المغادرة ومحاولة النسيان.

كانت رحلة العودة أشبه بكابوس. فقد كان نهار الأحد، وثمة أشغال حفر أجبرت القطار على التوقف لفترة طويلة.

لم تصل كوري إلى لندن إلا بعد الظهر. فكرت في التسوق، بدلاً من الذهاب إلى المنزل. كما فكرت بحجز طاولة في المطعم الفرنسي المجاور لمنزلها، بدلاً من أن تبقى وحيدة في المنزل.

دفعت كوري أجرة السيارة التي أقلتها من المحطة إلى المنزل. وفيما كانت تتحضر للنزول من السيارة، التفتت فجأة لتراه يتقدم نحوها.

وقفا للحظة وجهاً لوجه، ثم عضّت كوري على شفتها إذ توقعت أن يكون غاضباً منها. ولكن روم قال لها بلطف: «لم هربت مني؟».

ـ ربما، لأنني أكره أن أقول الوداع.

ـ إذاً لا تقولي ذلك! افتحي باب منزلك وادعيني للدخول، واستمعي إلى ما سأقوله لك!

ـ لا حاجة لأن تقول شيئاً!

فهز روم رأسه وقال: «الأمر ليس بهذه البساطة!».

ثم تنهد وأضاف: «لم أكن أنوي أن أقول لك في الشارع، ولكنني أردت أن أسألك إذا كنت تقبلين الزواج بي. هل تقبلين يا كوري أن تصبحي زوجتي؟».

* * *

قالت كوري: «لا أصدق ما أسمعه. لقد تقابلنا للتو...».

فأحاطها روم بذراعيه وقال: «وإن كنا غريبين. لا أعتقد أنني سأتحمّل أن أبقى مجرد صديق مقرب لك!».

دخلا الشقة، ثم راحا يتعانقان في غرفة الجلوس.

قال روم لكوري: «على أي حال، أعتقد أننا كنا نعرف بعضنا البعض بطريقة ما، ننتظر فرصة اللقاء فحسب».

فتنهدت كوري وقالت: «أنا مسرورة لأنني ذهبت إلى ذلك الحفل الخيري، مع أنني لم أكن أريد ذلك».

ـ وأنا كذلك، لم أكن أريد الذهاب إلى ذلك الحفل!

ابتسمت كوري وقالت: «وهكذا راح كل منا يتأمل الآخر. كان يجب أن أعلم أنه القدر!».

بقي روم صامتاً لبرهة، قبل أن يقول: «هل يمكنني أن أطلب منك شيئاً يا كوري؟ شيء غريب لا يمكنني تفسيره الآن!».

فقالت كوري: «كم تبدو غريباً! هيا قل لي ما هو هذا الطلب؟».

فتردد روم قليلاً قبل أن يقول: «لا أريدك أن تخبري أحداً بعلاقتنا، أقله في هذه الفترة!».

فأجفلت كوري: «ولا حتى جدي؟ ولكنه سيفرح لنا يا روم. فقد كان أمله الوحيد أن أجد من أحبه ويحبني. وأود أن يحب الرجلان اللذان يشكّلان

www.elromancia.com

محور حياتي، بعضهما البعض. هذا الأمر مهم بالنسبة إلي».

ـ وهو مهم بالنسبة إلي أيضاً، لكن لدي أسبابي في الوقت الحالي، ولا يمكنني أن أخبرك بها! كما لن تروق فكرة ارتباطنا لجدك، فهو لن يعتبرني العريس الذي لطالما حلم به لحفيدته الوحيدة!

سكتت كوري لحظات قبل أن تضيف: «يجب جدي أن تسير الأمور على الطريقة التقليدية، وأعتقد أنه لن يقبل أن نتزوج من دون طلب موافقته!».

ـ سأطلب موافقته، ولكن علينا أن نتريث قليلاً. هلاّ قمت بذلك من أجلي؟

فقالت: «نعم، بالطبع! حب من النظرة الأولى وارتباط سري، أشعر أنني في حلم قد أستيقظ منه في أي لحظة».

ـ لا تقولي هذا يا كوري، لا تفكري حتى بذلك!

أجفلت كوري لسماع ذلك وقالت له: «هل أنت على ما يرام يا روم؟».

فقال وهو يعانقها بنعومة: «نعم. أعتقد أنني كذلك للمرة الأولى في حياتي!»

ـ ولا يمكنك أن تطلعني على السر؟

ـ سأخبرك به عما قريب، لكن علي أن آخذ بعض الخطوات قبل ذلك!

ـ ولكن، ربما يمكنني مساعدتك!

ـ لا أعتقد أنك ستقدرين على ذلك، ليس هذه المرة!

فابتسمت كوري ابتسامة قلق، وقالت: «فهمت».

ولكنها لم تكن متأكدة ما إذا فهمت فعلاً. لم تعد تعي شيئاً سوى الفرحة التي غمرتها، جراء ذلك. أرادت أن تصعد إلى سطوح الأبنية وتصرخ عالياً لتعبر عن فرحها.

ولكنها وجدت الآن أنه لا يمكنها أن تقول أي كلمة، ولم تكن تعرف السبب.

راحت تفكر برد فعل صديقتها كوري حين تعلم، فتطلب منها سرداً مفصلاً لكل ما جرى. لكنها لن تخبرها نزولاً عند رغبة روم الذي طلب منها عدم اطلاع أحد على علاقتهما.

بقيت كوري تشعر أنه ما زال هناك الكثير من الأسئلة التي تود أن تطرحها عليه، ولكنها قالت في نفسها إن عليها أن تتريث... وأن تثق به فحسب.

راح روم يعانقها بحرارة، فشعرت وكأن كل الشكوك التي ساورتها للحظة اضمحلت أمام حرارة ذلك الموقف.

توجها إلى المطعم الفرنسي الذي يقع قرب منزلها فتناولا العشاء ثم عادا إلى المنزل فشاهدا فيلماً قديماً. وبعدما انتهى الفيلم همّ روم بمغادرة شقتها قائلاً:

ـ لدي أعمال عليّ أن أنهيها في الأيام الثلاثة المقبلة، لذا عليّ أن أذهب إلى المنزل وأتحضر لذلك!

ـ وهل أنت مضطر للقيام بذلك؟.

فقال لها: «كلما ذهبت باكراً، كلما عدت إليك باكراً!».

ـ أتمنى ذلك.

وصمتت كوري قليلاً، قبل أن تضيف: «وكيف هي شقتك؟».

كانت تأمل أن يدعوها للذهاب معه لمساعدته في حزم أمتعته. لكنه بدلاً من ذلك، هز كتفيه استهجاناً وقال: «مملة ومضجرة. إنها أشبه بغرفة فندق. سوف تكرهينها إذا ما رأيتها!»

ـ لا أكره غرف الفنادق. ولكن إذا كنت تراها سيئة إلى هذا الحد، فيمكنك أن تنتقل للعيش معي هنا وستنام على الأريكة!

ـ ولكن ذلك سيفضح سرنا! كما أخشى أن تغيّري رأيك إذا ما اكتشفت أنني أشخر في الليل، وأترك ملابسي مرمية على الأرض، في كل مكان. من الحكمة أن يعيش كل منا وحده، في الوقت الحالي!

ـ كيف تريدني أن أفكر بحكمة، وأنت تتركني الآن من دون أن تسمح لي حتى بالكلام معك لأرتاح؟

فأمسك روم بوجهها وراح ينظر مباشرة في عينيها وقال: «عندما سنتزوج، لن تستطيعي التخلص مني، أعدك بذلك!»

ـ أعرف أن تصرفي يبدو غبياً بعض الشيء، ولكنني أود ألاّ أخسرك. أريدك أن تبقى بجانبي إلى الأبد!

ـ لن تخسريني لأنك محفورة هنا، في قلبي وعقلي وكياني. عندما سأعود، سأمنحك بقية حياتي. . . إذا أردت ذلك!

فاقتربت منه كوري وهمست في أذنه: «وهل لديك أدنى شك بذلك؟»

نعم! راح روم يفكر بذلك وهو يدخل إلى شقته. فما زالت هناك هوة بينهما وبعض الشكوك. كاد أن يخبرها بكل شيء في الساعات الثماني والأربعين الماضية. لكنه تذرع أخيراً بضرورة العودة إلى شقته، لأنها كانت الطريقة الوحيدة ليخرج نفسه من تلك المتاهة التي ورط نفسه فيها. فكر روم أنه كان يجدر به أن يخبرها بكل شيء قبل أن يعرض عليها الزواج. ورأى أنه تصرف بشكل أحمق لا بل أكثر من أحمق حين طلب منها الزواج، قبل أن يوضح لها كل شيء بصراحة.

ولكنه لم يقم بذلك إلا لأنه شعر أنه يحبها وأنه لن يستطيع تقبل فكرة أن تكون لأحد غيره! عندما استيقظ في سوفولك ولم يجدها بجانبه، أسرع إلى سيارته متجهاً إلى لندن. حاول أن يقنع نفسه طوال الطريق بأن تصرفها منطقي، وبأن العداوة بين عائلتيهما قوية جداً، وأنهما لن ينجحا أبداً في بناء عائلة. كما لاحظ روم مبلغ حبها لجدها، وراح يتخيل رد فعلها حين تعلم أن أحدهم دفع له ليغريها بهدف ابتزاز آرنولد غرانت.

سوف تسلّم عندها بكل الأشياء السيئة التي سمعتها عن آل سامسون، وترمقه بنظرة تعكس الجرح العميق الذي سببه لها. ولكن روم نبذ تلك الأفكار، وراح يفكر بأن المهم الآن هو أن يجدها ويحدّثها عن المشاعر التي

تخالجه نحوها، وأن يطلب منها أن تنتظر ريثما يخرج نفسه من تلك الفوضى الكبيرة التي تعصف بحياته.

ولكنه حين رآها تقف أمامه، نسي كل الأفكار التي تجاذبته على طريقه من سوفولك إلى لندن، ووجد نفسه يطلب الزواج منها.

عرف روم أنه لا يملك الحق في القيام بذلك، ولكن لا مجال للتراجع الآن. عليه الآن أن يحارب لكي تبقى بجانبه، ولكنه لم يكن يملك أدنى فكرة عن الخطوة التالية التي سيخطوها.

اتجه نحو المجيب الصوتي ليتحقق من الرسائل التي وردت أثناء غيابه، فسمع صوت جده الغاضب يسأله إلى أين وصل في الخطة التي رسمها له.

فكر روم أنه أحسن صنيعاً حين قاوم الإغراء الذي تملكه باصطحاب كوري معه إلى شقته، لا سيما بعد أن استمع إلى رسالة جده الغاضب.

قال له جده في الرسالة: «من الأفضل أن تحمل لي أخباراً جيدة، فقد سئمت من كل ذلك!».

ـ وأنا أيضاً!

قال روم ذلك وهو يمحو الرسالة عن المجيب الصوتي.

* * *

نظر آرنولد غرانت إلى كوري التي كانت تغني بصوت منخفض، وهي تجلس قبالة شاشة الكومبيوتر، فقال: «منذ متى وأنت تهتمين بموضوع سوق الأسهم والمال؟».

فابتسمت كوري ابتسامة رزينة وقالت: «منذ فترة قصيرة، فقد غدت إحدى هواياتي».

راح آرنولد يحدق فيها وقال: «أنت مليئة بالمفاجآت يا صغيرتي. ثمة تغيّر في مظهرك أيضاً، ماذا فعلت بشعرك؟».

وضعت كوري يدها على شعرها وقالت: «لقد صبغت بعض الخصل. ألا تعجبك؟».

فأجابها آرنولد بطريقة جافة: «لا أعتقد أن رأيي يهمك! قولي لي من هو؟».

بقيت كوري تنظر إلى الشاشة وقالت: «لا أفهم قصدك!».

فقال لها جدها: «أعلم أنني أتدخل في شؤونك الخاصة، ولكن يجب أن تعلمي أنني أهتم حقاً لأمرك. تذكري هذا دائماً!».

وصمت قليلاً قبل أن يتابع: «لم لا تودين الكشف عن اسمه؟ هل تخشين ألا أقبل به؟».

عضت كوري على شفتها، وتمنت لو أنها لم تقطع وعداً لروم بألا تخبر أحداً، لا سيما أنها لم تعد قادرة على إخفاء مظاهر السعادة عن وجهها المتورد، وشعرها الملون، وخطواتها المختالة.

- لا، لم أخبرك بأمره لأني تعرفت إليه منذ فترة قصيرة، وأعتقد أن الوقت لم يحن بعد لأقدمه إليك رسمياً. فضلاً عن ذلك، إنه مشغول حالياً ببعض الأعمال.

صمت آرنولد قليلاً، ثم قال بصوت أجش: «هل هي علاقة جدية؟».

فقالت كوري: «نعم... أعتقد ذلك!».

وشعرت بالارتياح لتوقف الحديث عند هذا الحد.

اتصل بها روم مرة واحدة، ولم يجدها فترك لها رسالة على المجيب الصوتي، لكنه لم يحدد موعد عودته.

اشتاقت كوري إليه فهذا هو اليوم الثالث الذي لا تراه فيه.

لاحظت بعد الظهر كيف كان جدها يتأملها، وفرحت إذ سمح لها بأن تغادر باكراً. لكنها شعرت من لهجته الفظة وكأنه يلومها لأنها لم تضع ثقتها الكاملة فيه.

حتى اليوم، كانت حياتها كتاباً مفتوحاً بالنسبة إليه، فهي لم تخفِ عنه يوماً أي سر! ولكن ماذا ستكون ردة فعله حين يعلم أنهما ينويان أن يعيشا في إيطاليا؟

فكرت كوري وهي متجهة إلى المنزل بأنها كل ما لدى آرنولد في هذه الدنيا. ولكنها ستضطر إلى اتخاذ ذلك القرار عندما يحين موعد الزواج.

في صباح هذا اليوم الباكر، كان روم في طريق عودته من شمالي انكلترا، بعد أن قابل مجموعة من التجار حصل على قائمة بأسمائهم من آلساندرو. ويبدو أن عدداً لا بأس به منهم، قبلوا أن يجربوا بضاعة مونتيدرو.

بدا روم راضياً عن النتيجة التي توصّل إليها، وعرف أن ذلك سيعود عليه قريباً بالمال الوفير. لكنه لم يستطع أن يغفل حقيقة أن النتاج الذي يبيعه قد لا يعود ملكه قريباً.

ولكنه إذا نجح في الترويج له، فقد ينجح في الحصول على مساعدة مالية يؤمن بها معيشته مع كوري في مونتيدرو.

ذكّر نفسه بمرارة بأن لا شيء مؤكد في هذا العالم المتقلب، وأنّ هناك العديد ممن سيتصدون له ولعلاقته بكوري.

وتذكر ما قاله له ستيف ذات يوم: «إذا لم تراهن بكل شيء، فأنت غير جدير بالفوز».

وكان روم يناضل من أجل مستقبله ومن أجل كوري.

حين عاد إلى شقته، وجد رسائل صوتية عدة من مات سمسون الغاضب، يدعوه فيها إلى الإتصال به. ولكنه فكر بأن ما سيقوله لجده لا يمكن أن يقال عبر الهاتف. عليه أن يراه وجهاً لوجه!

ركن روم سيارته في حديقة منزل جده ووجد أن المنزل يبدو منفّراً، حتى عندما يكون الطقس جميلاً في الخارج.

فتحت له الباب سيدة ترتدي زياً أنيقاً، فطلب منها أن ترشده إلى مكان الآنسة سمسون. مشى روم خلف السيدة التي قادته إلى غرفة زجاجية تقع عند آخر المنزل. هناك، وجد روم كيت سمسون تقرأ مجلة بهدوء.

تفاجأت حين رأته، فقالت وهي تصافحه: «عزيزي روم، لم أكن أعلم بمجيئك، لم يخبرني والدي بذلك!»

ـ إنه لا يعلم أنني آتٍ.

جلس روم على أحد الكراسي الموجودة وقال: «أعتقد أنك تعلمين بالمهمة التي عهد بها إليّ».

تنهدت كيت بحزن وقالت: «آه، نعم. إنه مهووس كما تعلم، لا بل إنهما مهووسان كلاهما».

فقال لها روم: «هلاّ أخبرتني كيف بدأ الخلاف بينهما يا خالتي؟ هل تملكين أي فكرة؟»

فقالت كيت: «كان ذلك منذ وقت طويل، قبل وفاة سارة حتى. وقد أخبرتني عرابتي بكل شيء».

ـ هلا أخبرتني بكل ذلك؟

وضعت كيت يديها في حضنها وارتسمت على وجهها نظرات تأمل وهي تقول: «اقتصر الأمر بينهما في البداية على المنافسة في الأعمال وقد كانت منافسة نزيهة، مع أنهما لم يكونا يستلطفان بعضهما البعض. ولم يكن جدك منصرفاً إلى الأعمال فحسب، بل عقد خطوبته على فتاة أحبها حباً جماً، وكان يخطط لحياته المستقبلية معها. لكن شاءت الظروف أن يسافر مات ويبتعد عن خطيبته لأيام قليلة في رحلة عمل. وبينما كان مسافراً، دعيت خطيبته إلى حفل عيد ميلاد صديقة، وهناك تعرفت إلى آرنولد، فكان الحب من النظرة الأولى. وهكذا انتظرت إلى أن يعود جدك من السفر، ففسخت خطوبتها به، وتزوجت من آرنولد غرانت».

وصمتت كيت قبل أن تتابع: «قالت لي عرابتي إن مات جن جنونه لذلك، وراح يفكر بأبشع الوسائل للانتقام منهما. وراح الناس يقولون إنه مجرد رد فعل سريع، وإنه سينسى قريباً كل ذلك. لكنه لم ينسَ شيئاً!».

وتنهدت كيت قبل أن تتابع: «منذ تلك اللحظة، استحال آرنولد إلى عدوه اللدود. في البدء لم يقابل آرنولد ثأر مات بالثأر، ولكن جدك تمادى حقاً، فغدا الثأر متبادلاً... وبات العداء بينهما لا يعرف حدوداً».

ـ آه، هذا لا يصدق فعلاً! لا عجب أن تكون والدتي قد اختارت الفرار من هذا المنزل! ولكنني أتساءل لما لم يكف ذاك العداء حين تزوج جدي بجدتي، ووجد من يحب؟

ـ لم يتزوج والدي بوالدتي لأنه أحبها، بل لأنه كان بحاجة إلى زوجة، فوقع اختياره على أول امرأة التقى بها.

وصمتت كيت قليلاً قبل أن تتابع: «كان بحاجة إلى زوجة تلعب دور المضيفة في الحفلات، لكن أمي كانت خجولة للغاية، وأعتقد أنني ورثت منها ذلك. كما أراد أن تنجب له ولداً يرث امبراطوريته، لكنها لم تنجب له إلا طفلتين... أعتقد أنها كانت تحبه، لكنها لم تستطع أن تحل مكان المرأة التي احتلت قلبه وخسرها... إليزابيث كوري. كنا ندرك دائماً سارة وأنا مبلغ التشنجات التي كانت تسود علاقتهما. لم يكن منزلنا يوماً بالمنزل السعيد!».

أخذ روم نفساً عميقاً وقال: «إذا كان يحب إليزابيث إلى هذا الحد، فلما يسعى إلى الثأر من حفيدتها، وإدخالها في عملية الانتقام هذه؟».

ـ ربما ليجرح كما جرح هو! يصعب فهم كل هذا لأن الغموض يكتنفه. كانت سارة محظوظة حين هربت واستطاعت أن تجد ولو القليل من السعادة!

نظر روم إليها وسألها: «ألم تفكري يوماً بالهرب وعدم العودة إلى هنا؟».

فابتسمت كيت وقالت: «نعم، فكرت كثيراً بذلك، ولكنني وجدت أن والدي سيصبح وحيداً إذا ما قمت بذلك، فعدلت عن تلك الفكرة».

وصمتت قليلاً، ثم استدارت نحو روم تسأله: «ماذا ستفعل يا روم؟».

ـ سأحاول أن أوقف كل هذه المهزلة، فقد مرّ وقت طويل على ذلك. لن أسمح لأحد بأن يؤذيني أو يؤذي الفتاة التي أحب. سوف أتزوج حفيدة

إليزابيث يا خالتي!

أجفلت كيت لسماع ذلك، فقالت: «آه يا روم! وهل تعتقد أنهم سيسمحون لك بذلك؟».

فابتسم روم وقال: «كان والدي رجلاً محباً للرهان والمخاطرة، وأعتقد أنني ورثت عنه هذه الصفة».

ترقرقت الدموع فجأة في عيني كيت، فقالت: «احترس يا روم، احترس!».

وتوقفت قليلاً عن الكلام، قبل أن تضيف: «هل كان ذاك الرجل المحب للرهان جيداً معها؟ هل غمر قلب شقيقتي الصغرى بالسعادة؟ أرجوك قل لي!».

- نعم، لقد أحبها إلى حد الجنون، وكان معها عطوفاً، ومحباً، وودوداً، وقد أحببناه كثيراً أنا وهي.

فقالت كيت: «أنا سعيدة حقاً لأنها وجدت من يحبها. فهي لم تعرف السعادة مع والدها».

قال لخالته: «سوف أذهب الآن لأبحث عن جدي!».

بدا العجب على وجه مات سمسون، فتنهد تنهيدة ارتياح وقال: «إذاً عرضت عليها الزواج وقبلت؟ كم أنت سريع يا بني، أبليت بلاءً حسناً، وقمت بعمل أفضل مما توقعت!».

كان مات يجلس على كرسي عالٍ أمام نافذة غرفة نومه، وعلى رجليه بطانية من الصوف الناعم.

قال روم ببرودة: «أخشى أن يزعجك ما سأقوله لك الآن! ولكن هذا الزواج سيكون حقيقياً. وستسافر كوري معي، كزوجة لي، عندما أقرر العودة إلى إيطاليا».

بقي مات صامتاً، فظن روم أنه السكون قبل العاصفة. ولكن حين تكلم، جاء صوته هادئاً: «أتعني أنك وقعت في غرام تلك العانس؟ كيف

جرى ذلك؟».

- أدين لك بذلك، لأنك أنت من جمعنا!

فقال مات بنعومة: «نعم أنا من فعل ذلك!».

وأضاف روم: «وهي حفيدة إليزابيث كوري. لا تعتقد أنني أفقد الأمل سريعاً، فأنا مستعد لأن أحاربك من أجل مونتيدرو!».

راح مات يتأمله ثم قال: «إذا كنت تعتقد أن آرنولد غرانت سوف يبارك هذا الزواج، فاسمح لي أن أقول لك إنك الشخص الأكثر غباءً الذي عرفته في حياتي!».

- سوف أقنعه بأن يستمع إلى المنطق. سأقول له ما قلته لك، سأقول له إن الثأر يجب أن يتوقف، فالثأر لا يفيد بل يسبب الأذى لكلا الطرفين!

فابتسم مات وقال بصوت أجش: «وهل تعتقد أنه سيستمع إليك؟».

وصمت قليلاً قبل أن يتابع: «أتمنى لك حظاً سعيداً في مساعيك! هل أنهيت ما جئت لقوله؟».

- نعم.

- إذاً يمكنك الإنصراف، واللعنة عليك!

هز روم كتفيه استهجاناً، وهمّ بالانصراف لكنه توقف قبل أن يخرج من الباب، وقال لجده: «أتمنى لو تقابل كوري... لتتعرف إليها عن كثب. أعتقد أنك ستغيّر رأيك إذا تعرفت إليها».

فقال مات دونما مبالاة: «نعم، سأفكر في ذلك أيضاً. سأفكر بذلك من دون شك».

وفيما راح روم ينزل درجات السلم، سمع أحدهم يهمس باسمه فالتفت ووجد خالته كيت.

- أخبرني يا بني، كيف جرت الأمور؟

هزّ روم كتفيه وقال: «بشكل سيء، ولكنه وعدني أن يفكر بالأمر. لعلها الخطوة الأولى!».

فقالت كيت سمسون بطريقة جافة: «نعم، ولكن بأي اتجاه؟».

وسكتت لبرهة قبل أن تضيف: «على كل حال، ليس هذا ما أردت قوله».

ناولته علبة مجوهرات صغيرة كانت تحملها، ثم قالت: «أود أن أهديك هذه العلبة. أعطتني إياها أمي قبل أن تموت، وأنا متأكدة من أنها ستسر إذا ما أخذتها أنت».

فتح روم العلبة، فوجد فيها خاتماً قديم الطراز يتوسطه حجر كريم تحيط به حبات لؤلؤ صغيرة.

قال روم: «كم هو جميل يا خالتي! ولكن لا يمكنني أن أقبله!».

فابتسمت كيت وقالت: «لم ألبسه يوماً يا عزيزي، فهو لا يدخل في إصبعي! لا أذكر أن أمي لبسته يوماً، فقد كانت تقول دائماً إن الحجر الذي يتوسطه ليس حجرها المفضل. وهكذا آمل ألاّ يمضي المزيد من الوقت في هذه العلبة، لما لا تقدمه لكوري؟».

وضع روم يديه على كتفيها وقبّلها على خدها، ثم قال لها: «أتمنى أن تكوني أول من يزورنا في مونتيدرو!».

فربتت على كتفه، وقالت: «آمل ذلك، ولكن عليك أولاً أن تربح المعركة! وانتبه يا روم، فأنت لا تعلم ما الذي ينتظرك!».

* * *

١٠ ـ خاتم الخطبة

دخلت كوري إلى شقتها، فخلعت عنها معطفها، وملأت الإبريق ثم وضعته على النار، وخلعت حذاءها.

فكرت بمرارة بالليلة الإضافية الهادئة التي ستمضيها في المنزل. ولكنها لم تشعر بالهدوء، بل بالضجر، وهي تجول في غرفة الجلوس، حاملة كوب الشاي. أدارت التلفاز لكن لم يلفت انتباهها أي برنامج. أمسكت مجلة تقرأها، لكنها سرعان ما وضعتها مكانها مجدداً. أدارت آلة التسجيل تستمع إلى أغانٍ، لكنها عادت وأطفأتها قبل أن تصل الأغنية إلى نصفها.

أدارت الكومبيوتر، فتحققت من أسعار البورصة، ثم عادت وأطفأته أيضاً.

اتجهت نحو الثلاجة تبحث عما تأكله، لكن أياً من المأكولات الموجودة فيها، لم يغرِها.

اتصلت بصديقتها شيلي وتركت لها رسالة على المجيب الصوتي، مع أنها كانت تعرف أن شيلي تتناول من دون شك العشاء مع أحد الشبان.

كانت على وشك رفع السماعة لطلب وجبة سريعة، حين رن جرس الهاتف.

رفعت كوري السماعة وقالت: «آلو...».

فقال لها روم بصوتٍ ناعم: «افتحي الباب!».

فصرخت ورمت السماعة، ثم اتجهت بسرعة نحو الباب، ورمت

www.elromancia.com

نفسها في أحضانه.

ـ لقد عدت أخيراً... أنت هنا...

فغمرها روم بقوة وراح يعانقها عناقاً نهماً وقال: «حبيبتي، لقد اشتقت إليك كثيراً!».

ـ ليس بقدر ما اشتقت أنا إليك!

التصقت كوري بروم، ووضعت يديها حول عنقه. وصل روم بصعوبة إلى باقة الورود التي أحضرها معه ووضعها على الحائط بجانب الباب، فحملهما ودخل بهما الشقة مغلقاً الباب خلفه.

وضعها على الاريكة وقدم لها باقة الورود قائلاً: «هذه لك يا عزيزتي».

فقالت كوري وهي تنشق الأريج: «إنها رائعة، سوف أضعها في المزهرية».

فأخذها روم من بين يديها وقال لها: «لا أعتقد أنها ستذبل إذا لم تضعيها في الماء على الفور».

وضع الباقة على الطاولة بجانبها، وأخذ يعانقها بشغف وحب.

شعرت كوري أنها بالكاد تستطيع أن تتنفس من شدة الشوق الذي تشعر به نحوه.

قال روم وهو يبتسم: «أعتقد أنك كنت جادة حين قلت إنك اشتقت إلي كثيراً».

ـ بقيت أفكر أنك قد لا تعود أبداً، وأنني لن أراك مجدداً!

ـ أحمل شيئاً لك.

ـ نعم أعرف، باقة الورود الرائعة.

فأمسك روم بمعطفه وقال: «لا، أكثر من الباقة!».

وتناول علبة المجوهرات التي أعطته إياها خالته كيتي، وقدمها لكوري.

صاحت كوري عالياً من الإعجاب، حين رأت حجر الجمشت

البنفسجي اللون المحاط بحبات اللؤلؤ. وقالت بصوت أبح: «إنه... رائع. إنه حجر مولدي الثمين. كيف عرفت ذلك؟».

فقال روم بصوت حزين: «لم أكن أعلم، إنه خاتم يعود للعائلة. إذاً، هذا الخاتم سيجعلك حين تلبسينه جزءاً من عائلتي».

ثم أمسك بيدها اليسرى وقبلها، ودس الخاتم في إصبعها الثالث.

قالت كوري بصوت مرتجف: «هل هذا يعني أننا مرتبطان رسمياً؟».

فأجابها روم بصوتٍ ناعم: «تقريباً! عليّ أن أحصل على بركة جدك، لذا من الأفضل أن ننتظر ريثما يتم ذلك. حتى ذلك الوقت، أفضل أن ترتدي هذا الخاتم في اليد الأخرى».

فقالت كوري: «أنا مستعدة لأن ألبسه في أنفي إذا ما لزم الأمر. لن أعيده إلى تلك العلبة أبداً!».

وضعت كوري الورود في مزهرية، وطهت المعكرونة، فيما قام روم بتحضير صلصة لذيذة من الطماطم واللحم المقدد والأعشاب والثوم. بعد ذلك، تناولا الطعام، وبقيا يتسامران حتى انتصف الليل. عندئذٍ قرر روم أن يعود إلى منزله ولكن كوري قالت له: «لماذا تريد الرحيل في مثل هذا الوقت المتأخر؟ ابق هنا».

حاول أن يرفض ولكنها أصرت حتى استسلم وأمضى الليلة على أريكة غرفة جلوسها...

عندما استيقظت في الصباح سارعت للاستحمام وارتداء ملابسها... فبالرغم من أنها حفيدة المدير إلا أن جدها يفضّل الدقة في المواعيد.

أمسك بها روم وقال لها: «هل ستهربين مجدداً؟».

ـ لا، ولكن لدي عمل!

ـ اتصلي وقولي إنك مريضة.

فقالت له: «لا يمكنني. ألا تريد أن يحبك جدي؟».

ـ بل أريدك أنت أن تحبينني!

- سوف أفعل... لا بل أنا أحبك حقاً. رجاءً لا تعيقني لأن عليّ أن أسرع الآن. ما زال أمامي تسريح شعري وتجفيفه.

- إذاً سأذهب لأحضر لك القهوة الساخنة، ريثما تسرحين شعرك...

كانت كوري تجفف شعرها، حين سمعت الباب يدق.

سألها روم من المطبخ: «هل أفتح الباب؟».

فقالت كوري: «سأقوم بذلك بنفسي! لعل الطارق ساعي البريد!».

ثم اتجهت نحو الباب، وقالت حين تجدد الطرق: «حسناً، أنا آتية».

كانت على وشك أن تقول: آمل أن تكون هذه الرسالة من شخص محبب إلى قلبي.

لكن الكلمات ماتت على شفتيها حين فتحت الباب، واكتشفت الطارق.

قالت لها صونيا: «هل ستجعلينني أنتظر كثيراً على الباب؟ افسحي لي الطريق لأدخل، فالطقس بارد حقاً هنا!».

قالت كوري بعد أن لاحظت الحقائب التي تحملها أمها معها: «أمي! ماذا تفعلين هنا؟».

- كنت في نيويورك أزور بعض الأصدقاء، فقررت أن أمدد رحلتي وأزور ابنتي الوحيدة وأطمئن عليها!

ثم دنت من كوري، فطبعت قبلة على خدها، وقالت: «اشتقت إليك يا عزيزتي!».

كانت صونيا متألقة كالعادة، بشعرها الأشقر المسرّح ببراعة، وماكياجها الخالي من أي خطأ، وبثيابها الأنيقة.

وكالعادة، تذكرت كوري كيف قايضتها صونيا برجل آخر بعد ولادتها ووفاة والدها.

تلفتت صونيا من حولها وقالت: «يا لها من شقة صغيرة! كم حمام يوجد في هذه الشقة؟».

قالت كوري: «واحد فقط!».

فتنهدت صونيا وقالت: «في هذه الحالة، أعتقد أنني سأمضي ما تبقى من عطلتي في منزل جدك! هل هذه الرائحة رائحة قهوة؟».

فقالت كوري بصوت مكتوم: «نعم».

اتجهت صونيا نحو المطبخ، لكنها توقفت فجأة حين رأت روم وسألته: «من أنت بحق السماء؟».

أكمل روم سكب القهوة في فناجين، وأجاب: «أدعى روم دانجلو، وأنا أقوم بزيارة لابنتك».

فسألت صونيا: «وهل أنت صديق لها؟».

فأجابها روم وهو يقدم لها فنجان القهوة: «نوعاً ما!».

وعندما رشفت صونيا أول رشفة من فنجانها، قالت بلهجة نزقة: «أنت تجيد تحضير القهوة. أنا متأكدة من أن هذه ليست إلا واحدة من مواهبك الأخرى المتعددة!».

فقال روم الذي لم يبدُ عليه أي انزعاج: «هذه أقل مواهبي! سأنصرف الآن وأدعكما وحدكما، فلا بد أن هناك الكثير من الأحاديث التي تودان تناولها على انفراد!».

لحقت كوري بروم وسألته بلهجة شابها الحزن: «هل سأراك غداً؟».

فتردد روم قبل أن يجيب: «قد تكونين منشغلة بأمور أخرى، لذا سوف أتصل بك».

حمل سترته وارتداها ثم أضاف: «هل كانت هذه الزيارة زيارة مفاجئة من والدتك؟».

فأجابت كوري بمرارة: «لا بل مفاجأة مذهلة، فوالدتي تحب عنصر المفاجأة!».

ابتسم روم ونظر إليها قائلاً: «لعله القاسم المشترك بينكما!».

فرمقته كوري بنظرة قلق، وقالت: «هل رأيت كم هي فظة!».

ـ نعم، أدركت ذلك، وسوف أحاول أن أتأقلم مع هذا الواقع!

قال روم ذلك، ثم عانق كوري وهمس في أذنها: «لا تدعيها تعكر صفو نهارك. أراك لاحقاً!».

أخذت كوري الخاتم من على الطاولة الملاصقة لسريرها ودسته في إصبعها، وسمعت روم يلقي تحية مقتضبة على صونيا، قبل أن يغادر.

بعد ذلك، وافت كوري والدتها إلى غرفة الجلوس.

جلست صونيا على الأريكة تتفرس بابنتها، وقالت لها: «فاجأتني فعلاً، بعد أن اعتقدتك فتاة لا تهتم للرجال!».

فأجابتها كوري: «لا أدين لك بأي تبرير!».

صمتت صونيا قليلاً قبل أن تسألها مجدداً: «ولمَ يدعو نفسه... روم؟ ما هو هذا الاسم الغريب؟».

أجابتها كوري بلهجة فظة: «اسمه!».

فابتسمت صونيا وقالت: «نعم، أعلم ذلك. ولكن عليك ألا تحتدّي في دفاعك عنه، فأنا متأكدة من أن روم دانجلو ذاك قادر على القيام بذلك بنفسه».

وسكتت صونيا قليلاً قبل أن تتابع: «دانجلو... أتعلمين؟ يذكّرني هذا الاسم بشخص التقيت به ذات يوم في ميامي!».

فهزت كوري رأسها وقالت: «روم يعيش في إيطاليا، وهو يملك كرماً هناك».

ـ كم هذا رومنسي! أعلم أنه ليس الرجل الذي التقيته في ميامي. فذاك الرجل الذي التقيته في ميامي رجل مذهل!

رشفت صونيا من فنجانها قبل أن تتابع قائلة: «قولي لي كيف تعرفت إليه؟»

ـ في حفل خيري. ثم اكتشفنا أننا جيران، وهكذا بدأ كل شيء.

فقالت صونيا بلهجة ساخرة: «هلاّ كررت لي ذلك؟ يا لها من صدفة

غريبة حقاً! وما رأي آرنولد بذلك؟».

ردّت كوري بتردد: «لم يلتقيا... بعد».

ـ لم يلتقيا نزولاً عند رغبتك، أو نزولاً عند رغبته هو؟

أجابتها كوري باقتضاب: «نزولاً عند رغبتي أنا. ثم، ألا تعتقدين أن الوقت متأخر لتظهري كل هذا الاهتمام بي؟».

أجفلت صونيا لجواب كوري الفظ، فقالت: «ربما أنت محقة في ذلك!».

ثم نظرت إلى الخاتم في يدها وقالت: «يا له من خاتم جميل! من أين حصلت عليه؟»

فأجابت كوري بهدوء: «إنه هدية... من روم».

ـ علامة الحب الذي يكنه لك؟ كم هذا جميل!

وتحركت صونيا فجأة، فنهضت من مكانها وقالت لكوري: «هلاّ طلبت لي سيارة تقلني إلى منزل جدك، قبل أن تشعرني هذه الغرف الضيقة برهاب الاحتجاز؟».

فقالت لها كوري: «امنحيني خمس دقائق فقط لأرافقك بنفسي».

فتجهمت ملامح صونيا وقالت بتذمر: «من المؤكد أنك لست جادة في ما تقولينه! لا تقولي لي إنك ما زلت لا تهتمين بمظهرك وتحتاجين خمس دقائق فقط لترتدي ثيابك! عليك أن تهتمي جيداً بمظهرك، لا سيما إذا كنت تودين إثارة السيد دانجلو. كوني مثلي، فأنا لم أدع والدك يراني يوماً من دون أن أسرح شعري وأضع الماكياج».

فأجابت كوري: «أشك في أن أملك الوقت الكافي للقيام بكل ذلك، لا سيما في كرم يقع في توسكانا!».

فقالت لها صونيا بحدة: «ولكنك ما زلت هنا الآن!».

وصمتت قليلاً قبل أن تضيف: «لا أعتقد أن هناك حاجة لأن ترافقيني إلى منزل آرنولد في الحال. فنحن لم نلتقِ منذ زمن طويل، وهناك الكثير من

www.elromancia.com

الأحاديث التي سنتكلم فيها. لذا لما لا تأخذين الوقت الكافي لتهتمي جيداً بمظهرك؟»

فقالت لها كوري بلهجة قاطعة: «لا بد أن أحد هذه الأحاديث سيدور حولي أنا!».

تنهدت صونيا وقالت: «حتى ولو لم ألعب دور الأم الحقيقية بالنسبة إليك، عليك أن تعلمي يا عزيزتي أنك ما زلت ابنتي وما زلت أهتم بك. وكذلك الأمر بالنسبة إلى جدك! لذا، لما لا تدعينا نتناقش وتوافينا على الغداء عند الساعة الثانية عشرة والنصف؟ سنكون قد انتهينا من حديثنا آنذاك».

قالت صونيا ذلك، ثم نظرت إلى الساعة في يدها وأردفت: «يا إلهي، فرق التوقيت يقتلني».

عندما غادرت صونيا الشقة، مخلّفة وراءها رائحة عطر، جلست كوري على الاريكة وأحاطت رجليها بيديها.

رأت في وصول صونيا المفاجىء تعقيداً مفاجئاً هي بغنىً عنه.

عرفت كوري أنه لن يكون من السهل أن تقنع جدها، بأنها التقت أخيراً الرجل الذي تود أن تمضي معه بقية حياتها، لا سيما أنه لم يمض وقت طويل على معرفتها بروم. عليه أن يفهمها أكثر من أي شخص آخر. إنما الأمر ليس بهذه السهولة.

فكرت كوري بأن تفاتحه هي بالموضوع، قبل أن يلتقي بروم. ولكن، ماذا إذا كان يقف إلى جانب أمها...

هزّت كوري رأسها، بعد أن بدا لها الموقف بغاية التعقيد.

أبدت صونيا بعض التحفظات على روم... وفكرت كوري أن الشكوك ساورتها هي أيضاً بشأنه، ولكنها فضلت أن تترك كل ذلك للوقت.

راحت تتساءل ما الذي يدفع رجلاً مثله لأن يختار امرأة مثلها؟

فقالت في سرّها: «لأنه يحبني، لأننا نحب بعضنا البعض».

نظرت إلى حجر الجمشت الذي يتوسط الخاتم في إصبعها، فرفعته إلى فمها وقبلته.

من جهتها، لم تضيعّ صونيا أي دقيقة، فما إن تبادلت التحيات مع آرنولد، حتى قالت له: «حين ذهبت إلى شقة كوري اليوم، كان عندها زائر».

فنظر إليها آرنولد باستياء وقال: «وما الغريب في ذلك؟ هل نسيت أننا في القرن الواحد والعشرين؟».

ـ لا، بالطبع لم أنسَ. ولكن ما الذي تعرفه عن هذا الشخص؟

قال لها أرنولد: «لا أعرف عنه إلا النزر القليل، فقد كانت كوري متكتمة جداً على موضوعه!»

ـ لا ألومها! فلو كنت مكانها لبحثت عن منزل منعزل في وسط الغابة وأوثقته.

وصمتت قليلاً قبل أن تتابع: «إنه يدعو نفسه روم دانجلو».

فهز أرنولد رأسه وقال: «لم أسمع يوماً باسمه!».

ـ إذاً لا بد أن تتعرف إليه في أسرع وقت، لأن كوري تلبس خاتماً في إصبعها!.

أجفل أرنولد وقال: «خاتم خطبة؟».

ـ أظن ذلك، لكن في اليد اليمنى! إنه خاتم رائع، يبدو قديماً وغالي الثمن. إنه عبارة عن خاتم يتوسطه حجر جمشت تحيط به حبات لؤلؤ. يقال إن حبات اللؤلؤ تجعل من يلبسها يذرف الدمع، لكن لا أعتقد أن كوري تؤمن بهذه الأقاويل.

ـ حجر جمشت؟ هل أنت متأكدة؟

ـ أليس الجمشت الحجر البنفسجي اللون؟ لمَ تسأل؟

فسكت أرنولد قليلاً، ثم قال: «يبدو لي هذا الخيار غريباً كخاتم

www.elromancia.com

خطبة، فالألماس يناسب أكثر لمناسبة مماثلة».

أجابته صونيا وهي تستقيم في جلستها: «لا أعتقد أن ذاك الرجل يفكر بهذه الطريقة. وأعتقد أنه حان الوقت لتتقصّى عنه بشكل سرّي».

التفتت صونيا نحو أرنولد، فوجدته متجهماً يتفرس في لا شيء.

شاب التوتر الغداء الذي تناولته كوري مع صونيا وجدها، فقد بقي أرنولد صامتاً وكأن أمراً ما يقلقه، فيما راحت صونيا تتكلم كثيراً كالعادة.

شعرت كوري وكأنها عاشت هذا الموقف من قبل، ربما في أحلامها. أكلت السلمون الذي طلبه جدها ووجدته لذيذاً، على الرغم من جو القلق الذي يخيم على المكان.

أخيراً، وبعد أن قدمت القهوة، نهضت صونيا عن الطاولة لتذهب إلى مركز التدليك، فوجدت كوري نفسها وحيدة مع جدها.

ساد صمت ثقيل بينهما، وشعرت كوري أنها غير قادرة على أن تكسره. عرفت أنه يجدر بها أن تبقى صامتة، وتنتظر أن يبدأ هو بالكلام.

قال أرنولد فجأة: «هذا الرجل الذي تقابلينه... سألتك البارحة إذا كانت علاقتك به جدية، فلما لم تقولي لي إنك تعيشين معه؟»

- لأنني لا أعيش معه.

- آه! إذاً تسمحين له بأن يمضي الليل عندك عندما يخطر ذلك على باله فقط؟

فأجفلت كوري وقالت: «أرجوك يا جدي، لقد تأخرنا البارحة فطلبت منه البقاء لئلا يخرج في مثل ذلك الوقت من الليل. ولمعلوماتك لقد نام على الأريكة في غرفة الجلوس لذا لا تحاول تشويه صورة ما يجمعني بروم وتجعله يبدو أمراً مشيناً».

- ربما أنا أراه فعلاً كذلك! فمن المؤسف حقاً أن أعلم أن حفيدتي تسمح لرجل بالنوم في منزلها، رجل لم تتعرف إليه إلا منذ أيام، لا بل ساعات، لا بل دقائق!

فقالت له كوري بهدوء: «ليس الأمر كذلك! لقد وقعنا في غرام بعضنا البعض، كما جرى لك حين التقيت جدتي للمرة الأولى. وأعتقد أنك لم تندم يوماً على ذلك!»

- لا تتجرئي على مقارنة ما يجمعك بهذا الغريب، بما جمعني في الماضي بإليزابيث! فقد كنا نقدم في أيامنا الأمان والاحترام مع العاطفة!

وصمت قليلاً ثم قال: «ما الذي تعرفينه عن هذا الرجل؟ تقول والدتك إنها التقت منذ سنوات، في فلوريدا، بستيف دانجلو. وكان ستيف هذا رجلاً مقامراً يكسب رزقه بطرق غير شريفة. هل هو على علاقة به؟».

- إنه والده.

فنظر أرنولد إلى الخاتم في يدها وقال: «فهمت. وماذا عن هذا الخاتم؟ إنه مميز حقاً! هل تعلمين من أين جاء به؟».

غضبت كوري من كلام جدها وقالت: «ماذا تعني يا جدي؟ هل تعني أن روم سرقه؟»

فقاطعها جدها قائلاً: «أو ربحه في لعبة قمار ما!».

قالت كوري بصوتٍ أجش: «يؤسفني أن أقول إنك مخطىء! هذا الخاتم هو خاتم لعائلته. هل هذا الجواب كافٍ؟».

فردد أرنولد: «خاتم للعائلة؟ أتساءل إلى أيّ شخص في العائلة يعود هذا الخاتم؟».

- وهل هذا يهم؟ لا أصدق أنني أشارك في هذا الاستجواب. لطالما وددت أن أغرم بأحدهم. لا أفهم لما تسأل الآن كل هذه الأسئلة عن الشخص الذي أحب!

- هل تعتقدين أنني أظلمه؟

أخذ أرنولد ينظر إلى حفيدته من دون أن يراها، بسبب التساؤلات والشكوك الكثيرة التي راحت تتضارب في ذهنه، وقال: «ربما أنا أظلمه حقاً، ولكنني لم أحصل حتى الآن إلا على كلام لا أساس له! ربما عليك أن

www.elromancia.com

تسمحي له بأن يتكلم بنفسه عن نفسه!».

ساد صمت بينهما قطعته كوري حين قالت: «أحبه يا جدي، لا يمكنني أن أعيش من دونه».

ـ أنت تعتقدين ذلك يا طفلة! ولكن الفتاة تقابل الكثير من الرجال في حياتها قبل أن تجد من يناسبها فعلاً.

فقالت له كوري: «وهل كنت ستترك جدتي بهذه السهولة، إذا ما طُلب منك ذلك، وتذهب للبحث عن شخص آخر؟ لا أعتقد ذلك».

ـ لا تعتقدين ذلك؟ وما أدراك أنت؟

ـ لأنني أثق به تماماً كما وضعت جدتي ثقتها بك. لقد عرفت من النظرة الأولى أنها المرأة التي تبحث عنها، وكذلك هي. وبما أنني حفيدتها، أعتقد أن للأمر علاقة بالجينات الوراثية.

نهضت كوري من مكانها، واتجهت إلى الباب. وقبل أن تخرج منه، التفتت نحو جدها وقالت له: «أرجوك لا تقل لي مجدداً «طفلة». أنا امرأة اليوم، لا بل زوجة... زوجة روم دانجلو».

ـ أكان شخصاً يناسبك أم لا؟.

فقالت: «نعم».

ثم خرجت وأقفلت الباب خلفها.

بقي أرنولد هادئاً لبرهة، قبل أن يتحرك بخفة وهدوء ويمسك بهاتفه النقال.

* * *

١١ ـ خيار كوري

قالت كوري بغضب: «يجب أن أضع هذا اليوم في خانة أسوأ أيام حياتي».

فرد روم بطريقة جافة: «شكراً لك! هل أنصرف؟».

عانقته كوري وقالت له: «أنا آسفة! كنت أعني الساعتين اللتين أمضيتهما مع أمي وجدي في المطعم».

ـ سبق ونصحتك بألا تعيري اهتماماً لما تقوله أمك، يا عزيزتي. كان يجب أن تستمعي إلى نصيحتي!

فقالت كوري بمرارة: «أمي لم تضايقني، فقد تركتنا مباشرة بعد القهوة وراح جدي يتصرف معي كشخص غريب ويطرح عليّ الأسئلة كأنني في استجواب حول شخص خطير».

سألها روم بحشرية: «ماذا قال؟».

ـ لا شيء مهم! قال إنك كاذب ومحتال يسلب الناس أموالهم بعد كسب ثقتهم، وربما سارق.

صمتت كوري وهزت رأسها قبل أن تتابع: «في النهاية، تركته وحده وذهبت إلى الهايد بارك، فمشيت محاولة أن أريح رأسي وأنسى كل ما قاله».

سكت روم قليلاً ثم قال: «أعتقد أنه حان الوقت لنتقابل أنا وجدك، ونتكلم بجدية».

ـ يبدو أن هذا ما يريده هو أيضاً. فحين عدت إلى المنزل، وجدت رسالة منه على المجيب الصوتي، يدعونا فيها على العشاء في منزله غداً.

ـ وهل قبلت الدعوة؟

www.elromancia.com

- لم أجبه بعد، فهو لا يستحق ذلك! فضلاً عن ذلك، لا أعلم ما إذا كنت قادرة على تحمل المزيد من إهاناته، ومن أسئلته اللاذعة التي ضايقتني كثيراً اليوم أثناء الغداء!

قال روم: «أعتقد أنه يجدر بنا أن نذهب، قد تكون هذه الدعوة مناسبة للصلح!».

- لا، بل فرصة أخرى ليسمعنا المزيد من الكلام الجارح.

- يجب أن أراه حقاً لأوضح بعض الأمور.

تنهدت كوري وقالت: «إذاً سأعلمه بأننا سنلبي الدعوة. لن نحتفظ بهذا السر لمدة أطول، أليس كذلك؟».

فأجابها روم بوجه شبه كئيب: «ليس من الجيد أن نواصل إخفاء أمور كهذه عن الأشخاص الذين نحبهم. فكلما طالت مدة إخفاء هذه الأمور، كلما بات من الصعب علينا تفسيرها!».

في اليوم التالي لم تذهب كوري إلى عملها، ولم يتصل بها جدها ليسألها عن السبب، فبدا وكأنه لم يكن يتوقع حضورها.

وعلى الرغم من الحديث القاسي الذي دار بينهما، لم تكن كوري سعيدة لأنها على خلاف مع جدها. ولكنها قالت في نفسها إن الأمور ستعود إلى طبيعتها هذه الليلة.

ارتدت كوري ثوباً جديداً للمناسبة من قماش الجرسي البنفسجي اللون، ووضعت الخاتم في يدها اليسرى.

قال لها روم حين رآها: «تبدين رائعة!».

كان يبتسم ولكن القلق بدا جلياً على وجهه.

- وأنت كذلك تبدو رائعاً!

لم تره كوري من قبل في لباس رسمي فبدا وسيماً للغاية.

قالت له: «سوف يذهل جدي حين يراك!»

وفيما كانا متجهين نحو باب الخروج، انحنت كوري وأخذت من

المزهرية وردة من الورود التي قدمها لها روم، وضعتها في عروة سترته.

وفي الطريق إلى منزل أرنولد، كان روم يمسك المقود بإحكام وكأنه يغرق.

لاحظت كوري ذلك فسألته: «روم، هل أنت متأكد من أنك تود خوض هذه المعركة والحصول على بركته؟».

فأجابها روم بصوت أجش: «لم أكن يوماً متأكداً كما أنا متأكد الآن! ولكن ثمة شيء يجب أن أخبرك به يا كوري!»

- آمل ألا ترغب في الاعتراف في هذه اللحظة بأنك متزوج، لأن هذا لن يعجب جدي حتماً! في ما عدا ذلك، أعتقد أن الفرصة لن تسنح الآن فقد وصلنا!

وفيما كانا يقرعان جرس الباب، سألته كوري: «ما هو الأمر الذي أردت أن تخبرني به؟».

فهز روم رأسه وقال: «لم يعد بإمكاني أن أكلمك عنه الآن! أعتقد أنه عليّ أن أقابل جدك أولاً».

ثم وضع يديه على كتفيها وقال بلهجة جدية: «يجب ألا تنسي أبداً يا كوري أنني أحبك، وهذا هو الأهم!».

فتحت لهما مدبرة المنزل الباب وفيما هي تقودهما إلى غرفة الجلوس، قالت كوري: «يبدو أن جدي قرر أن يتصرف بطريقة متمدنة، فلم يستأجر مجرمين ليتربصوا بنا! فبعد اللهجة التي كلمني بها ذاك اليوم، اعتقدت أنه سيتصرف على هذا النحو!».

فقال لها روم بهدوء: «إنه محق في خوفه عليك واحتراسه مني. لكن كل شيء سيتحسّن، وسوف ترين ذلك بعينيك!».

عندما دخلا غرفة الجلوس، اختفت الشكوك التي ساورتهما حين تقدم أرنولد نحوهما ورحب بهما بابتسامة دمثة، فقامت كوري بتعريفهما إلى بعضهما البعض.

وفيما هما يتصافحان، راحا يتبادلان نظرات متفحّصة.

- أقدّم لك كنتي، أعتقد أنه سبق لكما أن تقابلتما!

فابتسمت صونيا التي كانت تجلس على إحدى الكنبات وقالت: «نعم!».

كانت ترتدي كالعادة ثياباً أنيقة. وقد اختارت الليلة بذلة سوداء اللون وحلي من الماس لتتزين بها.

قالت: «نحن صديقان قديمان. يسرني أن أراك بهذا الزي، سيد دانجلو!».

قال أرنولد: «لم أدعُ أحداً غيركما، لذا أعتقد أنها ستكون جلسة عائلية!».

فابتسم روم ولكنه لم ينخدع بكل تلك الحفاوة. شعر بحاسته السادسة أن أرنولد يحضر له مفاجأة قد لا تكون سارة على الإطلاق.

قال روم يحدث أرنولد: «آمل أن يتسنى لنا الوقت لنتكلم على انفراد، يا سيد غرانت!».

- ولكن لا حاجة لذلك! يمكننا أن نقول كل ما نود قوله هنا أمام الجميع!

ناول روم كأس عصير وسأله: «هل تعني أن ثمة ما تريد أن تسألني عنه؟ أمر شخصي ربما؟»

فأجفل روم ولكنه حاول أن يحافظ على رباطة جأشه وقال: «نعم هناك ما أود أن أحدثك به على انفراد».

فابتسم العجوز ابتسامة خالية من الفكاهة والدفء وقال: «ماذا تريد أن تقول؟ هيا، قل ما جئت من أجله! أنا أسمعك!».

فقال روم بصراحة ووضوح: «حسناً، الحقيقة هي أننا أنا وكوري نحب بعضنا البعض، وقد جئت لأطلب منك رسمياً أن تبارك زواجنا!».

هزّ أرنولد رأسه وأضاف: «لا أعتقد أن هذه هي الحقيقة».

فاحتجت كوري بغضب: «جدي!».

فقال لها أرنولد بلهجة ناعمة: «اجلسي يا عزيزتي، فأنا أحمل لك خبراً سيئاً أرجو ألا يؤثر عليك كثيراً! إن الرجل الذي يقف هنا الآن ويطلب يدك، ليس كما تظنين. أنا متأكد من أنك تعلمين أنه ليس إيطالياً، ولكن هل تعرفين شهرة أمه قبل زواجها!».

فقالت كوري: «لا... لا أعرف».

- ولكن هل قال لك ما اسمه الحقيقي لجهة أمّه؟ لا أعتقد أنه قاله لك، لذا آمل أن تكشفه لنا حالاً سيد... دانجلو!

بدا الحقد في صوت العجوز وهو يتكلم. راح روم يتأوه من الداخل، ثم استدار لينظر إلى كوري التي بدت مذهولة.

قال بلطف: «إنه سمسون يا عزيزتي. والدتي هي سارة سمسون، ابنة مات سمسون الصغرى».

ثم التفت إلى أرنولد وسأله: «هل هذا ما أردت سماعه؟».

فقال أرنولد: «بل قسم صغير من الحقيقة! ولكن أود أن تعلم أن هذا لا يسرني أبداً. أريدك أن تعلم أن حفيدتي عزيزة جداً على قلبي، ولم أشأ يوماً أن يؤذيها أحد. ولكن أعتقد أن الأوان فات الآن».

كانت الحرارة مرتفعة جداً في الغرفة، لكن كوري شعرت بالبرد.

قالت فجأة: «أنا لا أفهم شيئاً، عمّا تتحدثان؟».

فقال أرنولد: «نتحدث عن وهم. وهم اختلقه رجل محب للثأر، وعهد إلى حفيده بمهمة تنفيذه. لقد أعطاه مات سمسون قرضاً لكرمه ذاك، ثم هدده بأن يطالبه بالقرض إذا لم يغرِك. وكان يتوقع مني أن أدفع له ليتركك وشأنك، أليس كذلك يا سيد روم سمسون؟ أليست هذه الخطة غير الشريفة التي حبكتها مع ذاك الشيطان العجوز؟»

تصلبت ملامح روم، ولكنه لم يضطرب بل قال: «نعم».

فصرخت كوري بلوعة وأسى صوتاً تخلل جدران الغرفة كلها: «لا! لا

يا روم، هذا ليس حقيقياً! لا يمكن أن يكون حقيقياً!».

فقال لها روم بهدوء: «بلى، كل ما قاله جدك كان حقيقياً في البداية، ولكنه لم يعد كذلك! لم يعد كذلك، بعد أن وقعت في غرامك! عليك أن تصدقي ذلك!».

فقاطعته كوري قائلة: «أصدقك؟ وكيف لي أن أصدقك بعد أن كذبت علي منذ البداية؟ بعد أن سعيت ورائي مجدداً من أجل المال؟ كيف يمكنني أن أصدق أي شيء مما تقوله الآن؟».

ثم استدارت، وغطت وجهها بيديها، فسارعت صونيا تعانقها وتحاول أن تواسيها. لكنها عادت تصرخ بروم: «لِمَ لا ترحل الآن؟ ارحل ودعني بسلام!».

فالتفت روم نحو أرنولد وقال له: «كنت أنوي أن أقول لك كل ذلك بنفسي، ولكن ليس في حضور كوري. كان بإمكانك أن تجنبها هذا العذاب!»

ـ من حقها أن تعرف أي نوع من الرجال أنت، وأيّ خطة دنيئة وضعتها لتوقع بها!

فقال له روم بهدوء: «لا تملك الحق في أن تكلمني بهذه الطريقة! واعلم أن هذه الخطة توقفت منذ وقت طويل... ويعرف جدي هذا جيداً. وما زلت أريد أن أتزوج بكوري، أكان ذلك بإذنك أو من دونه!».

فقال له أرنولد بسخرية: «على جثتي. عليك أن تبحث عن وريثة أخرى، تنقذ بأموالها كرمك. أعتقد أنك غامرت كثيراً. حصلت على محبة حفيدتي، وجئت اليوم إلى هنا لتقنعني وتجعلني أثق بك. ولكنني فضحت أمرك ولم تكن تتوقع ذلك!».

وقطع أرنولد الغرفة ثم فتح باباً وقال: «يمكنك أن تدخل الآن!»

فدخل مات إلى الغرفة، متكئاً على عصاه.

أجفل روم لرؤية جده مات سمسون يدخل الغرفة، وقال: «إذاً، هكذا

علم السيد غرانت بكل هذه الأمور. أهنئك يا جدي! لقد فاجأتني حقاً وربحت المعركة!».

فنظر إليه مات باحتقار وقال: «هل كنت تعتقد أنني سأدعك تغيّر كل ما خططت له؟ أردت أن أرى ردة فعله اللعينة، حين يعلم أنني عرضت المال على حفيدي الوغد، ليغري حفيدته الوحيدة. وأعتقد أن مالي لم يضع هدراً، فقد رأيت نظرات اللوعة في عينيه!».

سألته كوري بهدوء: «لِمَ تكرهني إلى هذا الحد يا سيد سمسون؟».

التفت نحو مصدر الصوت، فوجد شابة بيضاء جداً، عيناها تذرفان الدمع، ولكنها محافظة على رباطة جأشها. ولمع حجر الجمشت في يدها، فلفت نظر مات.

تراجع هذا خطوة نحو الخلف وقال وهو يلهث: «من أين حصلت على هذا الخاتم؟»

فقال روم: «أعطتني إياه خالتي كيت، لأهديه للمرأة التي أحب».

ـ ولكنها لا تملك الحق في ذلك! إنه خاتم الخطوبة الذي أهديته إلى إليزابيث منذ زمن بعيد!

بدا مات شاحباً وهو يقول تلك الكلمات، وحاول أن يتحكم بانفعاله.

فقال له روم: «وأعادته لك، حين قررت أن تتزوج برجل آخر!».

قال أرنولد باشمئزاز: «إنه الخاتم الذي أعادته حين فسخت خطوبتها بك! كانت بيت تلبسه حين التقيت بها في ذلك الحفل! وعندما رأيته، عرفت في الحال هوية الشخص الذي أهداه إلى حفيدتي. لقد أهداها إياه عن حسن نية، ويؤسفني أن أقول لك، يا روم، إنك لن ترى أي فلس مني. كما أنك لن تتزوج أبداً من حفيدتي، التي ستذهب إلى ميامي مع والدتها!».

نظر روم إلى جده مات وقال له: «قدمت هذا الخاتم إلى زوجتك، إلى جدتي ولكنها لم تحبه، أليس كذلك؟ لم تلبسه يوماً لأنها عرفت أنه كان يعود لامرأة أخرى، امرأة لم تستطع أن تحب أي امرأة بعدها!».

ـ لم أكن أرى غيرها في هذا الكون!

وتراجع مات بضع خطوات نحو كوري وقال: «إنها تشبهها كثيراً، بعينيها وفمها و... بيتْ، عزيزتي بيتْ».

ـ بل هي كوري، الفتاة التي أحب!

انفجر أرنولد لسماعه تلك الكلمات، وقال: «كيف تجرؤ على قول هذا، بعد كل ما فعلته بها؟».

ـ لست فخوراً بالطريقة التي عاملتها بها! عندما رأيتها في المرة الأولى، أعترف أنني كنت أتبع تعليمات جدي. ولكن بعد ذلك، اتبعت قلبي، لأنني شعرت معها أنه بإمكاني أن أبلغ الجنة! قبلت بأن أقوم بما عرضه عليّ جدي، لأحتفظ بمونتيدرو لأن الكرم كان كل ما يهمني في ذاك الوقت. ولكن كل شيء تغير الآن! كوري غيّرت كل شيء. إنها بنظري أغلى من ألف كرم، وستكون دوماً كذلك لأن حياتي من دونها فارغة!

توقف روم عن الكلام لينظر إلى أرنولد، وقال: «جئت إلى هنا الليلة بنية طيبة، لأطلب منك يدها، لأعلن خطوبتنا. وعلى الرغم من كل ما جرى، ما زلت أود طلب يدها منك!».

ارتمى مات بتكاسل على كرسي قريب وقال: «من الأفضل أن تنسى هذا المشروع، فقد انتهى أمرك الآن! لن تحصل على أي فلس منه أو مني، وبالكاد سوف تستطيع أن تعيل نفسك! لذا دعك من فكرة الزواج هذه!».

وضحك مات ضحكته الشريرة قبل أن يتابع: «سوف أحرمك من كل شيء فتلعن الساعة التي تعرفت بها إليّ. سوف تندم على كل ما فعلته معي!».

أفلتت كوري من بين يدي والدتها، ومشت في الغرفة متجهة نحو روم، وقالت له: «هل هذا هو ما أردت قوله في السيارة؟».

فنظر إليها روم وقال: «نعم. لكنني ارتأيت أن أخبر جدك أولاً بهويتي الحقيقية، وأحاول أن أفسر له كل ذلك، لكن لم تتسنَ لي الفرصة!».

فسألته كوري: «ولمَ لم تخبرني بذلك من قبل؟ في سوفولك، أو حين عدنا؟».

فقال بصوت أبح: «لأنني خفت أن أخسرك، ولم يكن باستطاعتي تحمل خسارة كهذه! لم أستطع أن أغامر، ولكن يبدو أنني خسرت الآن كل شيء!».

أخذت كوري نفساً عميقاً وقالت: «وهل الباقي صحيح؟ هل بإمكان جدك أن يسلبك مونتيدرو؟».

فمد روم يده يمسح دمعة سالت على خدها، وقال: «فليحاول!».

هزت كوري رأسها، وقالت بصوت هادىء: «هل تحبني؟».

فصرخت بها صونيا: «كوري! هذا الرجل خدعك وكان على وشك أن يخدع جدك. قد يقول لك أي شيء لأنه مفلس ولأنك وريثة! أين كبرياؤك؟»

ثم راحت تقنعها بالمداهنة، قائلة: «إنسيه يا عزيزتي وابتعدي عنه! إذا كنت لا تودين الذهاب إلى ميامي، فيمكنني أن أصطحبك إلى جزر الباهاماس لتمضي هناك وقتاً ممتعاً. أعدك أنك إذا تبعت ما أقوله، فسوف تنسينه في غضون شهر!».

تكلفت كوري ابتسامة وقالت: «لسوء الحظ، لست بهذه السطحية!».

ثم نظرت في عيني روم وقالت له: «أجبني أرجوك!».

فقال روم بصوت ثابت: «نعم، أحبك يا قلبي! أنت جزء من روحي وكياني، ولا يمكن لشيء أن يغير ذلك! أود لو أجثو على ركبتي وأطلب منك السماح! ولكنني أعتقد أن زواجنا لم يعد ممكناً الآن، فأنا أخشى أن تشكي يوماً من الأيام بأن كلام والدتك صحيح!».

قاطعه أرنولد قائلاً: «على كل حال، هذا لن يحصل أبداً. وإذا تجرأت كوري على الذهاب معك، فلن تحصل مني على فلس واحد. لن تحصل على شيء، سوف أحرمها من كل شيء، وأترك كل أموالي وأملاكي للأيتام والمساكين! سنرى عندها كم سيدوم هذا الحب الذي تدعي أنه حقيقي!».

ثم راح يضحك ضحكة انتصار واستهزاء.

صرخت صونيا بصوت شبه محموم، وارتمت على الأريكة.

ساد صمت مطبق، لكن روم قطعه حين أمسك بيدي كوري وقال لها بصوتٍ ناعم: «يا إلهي! هل سمعت يا عزيزتي ما قاله جدك للتو؟ سيجردك من كل شيء، وكذلك جدي! أخذا كل شيء وتركانا مع بعضنا البعض!».

وتحوّل صوته إلى صوت ملح، وهو يقول: «عيشي معي الآن، يا عزيزتي! تعالي معي، لأنك إذا بقيت، فسيربحون المعركة! وسيضيع الشيء الغالي الذي بنيناه معاً!»

شدد روم قبضته على يديها وقال: «لا تدعي هذا يحصل، يا حبي! اتركي لهم أموالهم، وحقدهم وخططهم. سوف تكون لنا حياتنا الخاصة أنا وأنت، إذا لم يكن ذلك في مونتيدرو فسيكون في أي مكان آخر. في أي مكان آخر معك. سوف أعمل في حفر الخنادق، إذا ما لزم الأمر!».

تغيّرت ملامح وجه كوري فجأةً، وبدت عيناها أكثر لمعاناً.

تذكر روم حين رآها أول مرة، فلم يستطع التقرب منها. شعر أن كلام جدها أعاد ذلك الحاجز الذي حال دون تقربهما في ذلك الحفل.

لكن شكوكه هذه تبددت، حين قالت كوري: «نعم يا روم، أنا آتية معك!».

وارتمت في أحضانه.

صرخت صونيا بكوري قائلة: «كوري، أرنولد جادٌ في ما قاله! لا تتوقعي مني أن أخرجكما من ورطتكما المادية!».

تجاهلت كوري كلام والدتها، وقالت: «ولكن يجب ألاّ تخسر مونتيدرو يا روم، إنه حياتك كلها!».

فقال لها روم: «لم يعد كذلك! لقد حللت مكانه. ولكننا سنناضل للحفاظ عليه، إذا كان هذا ما تريدينه!».

التفتت كوري إلى جميع من في القاعة، فقالت بصوت جازم وعينين شع فيهما بريق الأمل: «لن يأخذ أي واحد منكم مونتيدرو! لقد تركت لي جدتي

بعض المال، وسأستعمله لننقذ معاً مونتيدرو...».

فقاطعها أرنولد قائلاً: «لم تترك لك إلا القليل القليل، وهذا المال لن يكفي ليغطي الديون التي يغرق بها ذاك الكرم! لذا دعك من كل هذا، وتذكري أنني جاد في تهديدي!».

فأجابته كوري: «وأنا أيضاً! صحيح أن الإرث الذي تركته لي جدتي لم يكن كبيراً، لكنه زاد في السنتين الأخيرتين! هل تذكر هوايتي يا جدي، في مراقبة أسعار العملات والبورصة؟ ساعدتني هذه الهواية على زيادة ذلك الإرث أضعافاً، وأعتقد أنه سيمكنني من أن أدفع المال المستحق على روم، لإنقاذ مونتيدرو!».

فقال لها روم بصوت أجش، وهو يضع يديه حول وجهها: «حبيبتي، لا يمكنني أن أقبل مالك هذا، عليك أن تعلمي ذلك!».

فقالت له كوري وهي تبتسم: «إنه مالنا، لزواجنا، ولحياتنا، ولأطفالنا. يجب أن تقبله يا حبي، لأن كل ما أملكه بات ملكك».

وبدا صوتها أكثر عمقاً وهي تقول: «إذا رفضت مالي يا روم، فسيربحون المعركة أيضاً. سوف ينتصر حقدهما، لا حبنا! هل ستدع ذلك يحصل؟».

فأجابها روم بصوت ناعم للغاية وهو يعانقها: «حبيبتي، يا أغلى ما لديّ في هذا الوجود، سوف ننجب أجمل الأطفال وننهض بكرمي قدماً».

غضب أرنولد لسماع ذلك، وقال ويداه ترتجفان: «لا يمكنك أن تفعلي هذا بي يا كوري! لا يمكنك أن تدعيني وحيداً!».

فنظرت إليه كوري وقالت: «أردتني أن أكره روم، ولكنك أنت من سيصعب عليّ مسامحته يا جدي! هل تتخيل ما كانت لتقوله جدتي إليزابيث إذا سمعتك تهددني هكذا؟».

وهزت رأسها قبل أن تتابع: «افعل بالمال ما تشاء، لا أرغب بأن أكون وريثتك! لم أرغب بذلك يوماً! ومع هذا المال أو من دونه، سوف أعيش مع

www.elromancia.com

الرجل الذي أحب حياةً سعيدة!».

ثم التفتت كوري إلى مات وقالت له: «أما بالنسبة إليك، فقد خسرت ابنتك، وأنت تخسر الآن حفيدك. كلاكما سيصبح وحيداً وبائساً وأنتما تستحقان ذلك! لقد ضيعتما سنين حياتكما في الحقد والكره. ولكننا لن نسمح لكما، أنا وروم بأن تجعلا ذاك الحقد يفرقنا!».

ساد صمت ثقيل قبل أن يقطعه أرنولد قائلاً: «كوري، أنت عزيزة جداً على قلبي! هل من طريقة يمكنني بها أن أعوض عما قلته لك؟».

فقالت بلطف: «نعم، بأن تكف عن كره مات سمسون أكثر مما تحبني! وبأن تقبل بالزوج الذي اخترت وتحبه!».

وتكلم روم بصوت هادىء وصريح، فقال: «يجب أن ينتهي هذا الحقد، إذا كنتما تريدان أن تريانا مجدداً، وإذا كنتما تريدان أن تحملا أطفالنا. هذا القرار يعود لكما، ولكننا نحن اتخذنا قرارنا!».

ثم تناول يد كوري فرفعها إلى فمه وقبلها قائلاً: «حبيبتي، يا قلبي الأوحد، لنذهب إلى بيتنا الآن!».

فابتسمت كوري وقالت بنعومة: «معاً... وإلى الأبد!».

وصلا إلى الباب، لكنهما توقفا فجأة حين سمعا صوت مات يقول: «روم بني، هل فات الأوان؟».

وقالت صونيا بصوت بائس: «كوري... ابنتي العزيزة...».

يداً بيد، استدارا ليلقيا النظرة الأخيرة على الوجوه الكالحة البائسة خلفهما التي كانت تراقبهما وهما يغادران المكان.

ساد صمت قطعه روم فقال: «تعرفون أين تجدوننا، وسوف نكون بانتظاركم! إلى اللقاء في مونتيدرو!».

وغادرا هو وكوري الغرفة، نحو حياة جديدة مفعمة بالأمل والسعادة والحب.

***